أجاثا كريستي

الطائر الجريح



الطائر الجريح

للكاتبة الانجليزية الكبيرة

آجاثا كريستي

روايات الجيب

مجـــلة قصصية

تأسست سنة ١٩٣٦

رئيس التحرير

عمر عبد العزيز أمين

١٩٨٠/٥/١٥

الرجــل الغامض

كان ذلك فى عيد رأس السنة الميلادية ..

وكان الاعضاء الكبار المدعوون الى حفـلة عيد الميـلاد مجتمعين فى القاعة الكبرى بمنزل رويستون .

وكان المستر ساترويت سـعيدا لانصراف الصغار الى مضاجعهم ، لانه لم يكن يحب دعاباتهم الصبيانية فى مثل هذه المناسبات .

انه رجل فى الثانية والستين من عمره ، جاف العود محنى القامة بعض الشيء ، ينم وجهه على الفضول الشديد ، والاهتمام البالغ بما تنطوى عليه حياة الناس من أسرار . ويمكن القول أنه عاش حيـاته كلها وهو جـالس فى الصف الأمامى يرقب ما يجرى على مسرح الحيـاة ويشاهد الطبائع البشرية وهى تتكشف أمام عينيه . ولكنه الان فقط بعد أن أصبح فى قبضـة الشيخوخة ، وجد نفسه شديد الميل الى التخلى عن موقف المشاهد ، ثم الاشتراك فى مسرحية الحياة نفسها !

ولم يكن عدد الذين دعوا الى الحفلة كبيرا ، وكان بينهم توم ايفشام صاحب البيت ، وهو رجل لطيف ودود ، وزوجته المهتمة بالشئون السياسية ، والتى كانت ، قبل زواجها منـه ، تدعى الليدى لوراكين . وكان بينهم أيضا السـير ريتشارد كونرى ، الجندى ، والرحالة ، والصياد البارع . هذا بالاضافة الى بعض الشبان والشابات الذين لم يتذكر المستر ساترويت أسماءهم وكذلك آل بورتال !

ولم يكن ثمة أدنى شك فى أنه متمتع بالمواهب التى تمنحه

الحق فى هذه المشاركة ، فقد كان يدرك ، بالغريزة ، متى تتجمع العناصر التى تنبىء بوقوع حادث مثير من أحداث الحياة . أى انه ، كحصان الحروب يشم رائحتها . ومنذ وصوله الى منزل رويستون فى أصيل ذلك اليوم ، وهو يشم رائحة حادث مثير على وشك الوقوع .

وكان المستر والمسز بورتال هما فى الواقع موضع اهتمام المستر ساترويت . انه لم يكن قد رأى اليكس بورتال من قبل ، ولكنه كان يعرف عنه كل شىء . كان يعرف أباه وجده . وكان اليكس ، مثل أسلافه ، ذهبى الشعر ، أزرق العينين ، فى نحو الأربعين من عمره ، مشغوفا بالرياضة والصيد ، واقعيا فى تفكيره وسلوكه . وعلى الجملة لم يكن فيه ما ينم على الشذوذ ، وانما هو رجل انجليزى عادى متزن سليم التفكير .

ولكن زوجته كانت تختلف عنه . فهى ، كما عرف المستر ساترويت ، استرالية الاصل وكان اليكس بورتال قد التقى بها فى استراليا أثناء رحلة له هناك ، فتبادلا الحب ، ثم عاد هو بها الى انجلترا . ولم تكن قد شاهدت انجلترا قبل زواجها . ومع هذا فقد أحس المستر ساترويت ، بغريزته ، أنها ليست كالاستراليات اللاتى شاهدهن .

انه الان يرقبها خلسة ، وبدقة : امرأة مثيرة للانتباه ، جدا . فهى ، رغم سكونها وصمتها ، تفيض بالحيوية العارمة . هذا هو السر ! وهى وان لم تكن رائعة الجمال ، الا أنك لا تملك نفسك من الاحساس بجاذبيتها وسحرها . ولكن السؤال المهم الذى ظل يلح على ذهن المستر ساترويت هو : « لماذا تصبغ المسز بورتال شعرها ؟ » .

لقد كانت الصبغة متقنة بحيث لا يمكن أن يلحظها الا امرأة مثلها أو رجل ركز انتباهه عليها مثل مستر ساترويت . وكان سر عجبه أن معظم النساء ذوات الشعر الاسود يصبغنه باللون الذهبي ، ولكنه لم ير في حياته امرأة تصبغ شعرها الذهبي باللون الاسود ، كما تفعل المسز بورتال .

ان كل شيء في تلك السيدة كان يثيره ويغري فضوله . فقد خامره الشعور بأنها اما أن تكون سعيدة جدا في حياتها ، أو شقية جدا ، ولكنه لم يعرف على وجه اليقين أيهما أصح ! وقد أحس بالضيق لهذا السبب ، وأكثر من هذا شعر بأن لها تأثيرا عجيبا على زوجها .

وقال المستر ساترويت لنفسه :

« انه يقدسها ، ولكنه ، لسبب ما ، وهذا هو العجب ، يخشاها .. » .

لقد كان الواضح للجميع أن أليكس بورتال ، زوجها ، يسرف في شرب الخمر ، ثم يختلس النظر اليها بطريقة مثيرة للانتباه والتساؤل .

وأحس المستر ساترويت ، بغريزته ، أن الحدث المرتقب سيتركز في هذين الزوجين ، اليكس بورتال وزوجته !

وأفاق من تأملاته على قول صاحب البيت ، ايفشام ، بعد أن أعلنت الساعة منتصف الليل :

— لقد بدأ الآن عام جديد ، وأرجو أن يكون عاما سعيدا للجميع .

وقالت زوجته الليدي لورا :

— ان بدء عام جديد يجعل الانسان أحيانا يرتد بالذاكرة الى سنوات عمره السابقة ، والى أصدقائه الذين كان يشترك معهم في أناشيد عيد الميلاد

وهنا تململ زوجها اينشام ، وقال :

— أوه . . كفى يا لورا . . ليس هذا الوقت مناسبا !

ثم مضى الى لوحة مفاتيح المصابيح الكهربائية ، واضـاء مصباحا آخر ، بينما قالت زوجته الليدى لورا فى لهجة اعتذار :

— أوه . . ما اشد غبائى . . لا شك انى ذكرته بصديقه الحميم المستر كابل .

وقالت اليانور بورتال بصوتها العذب الذى جعل المستر ساترويت يظن انه سمعه من قبل . . يوما ما :

— المستر كابل ؟ !

— نعم . انه الرجل الذى كان يمتلك هذا البيت من قبل . لقد انتحر بأن اطلق على نفسه الرصاص كما تعلمون ! اوه . اننى لن اتحدث عنه اذ ان زوجى العزيز يتألم من هذا الحديث . فلا شك انها كانت صدمة عنيفة له ، لانه كان هنا عندما انتحر صديقه المستر كابل . وقد كنت ايضا هنا يا سير ريتشارد ! أليس كذلك ؟

— نعم ياليدى لورا

وجمعت الليدى لورا أدوات التطريز بين يديها ، ثم قالت وهى تنظر الى مسز بورتال :

— لقد انتهى الاحتفال بعيد راس السنة . فمـاذا نفعـل الآن ؟

فنهضت اليانور بورتال بسرعة ، وقالت فى غير اهتمام :

— الى الفراش فـورا

وقال المستر ساترويت لنفسه ، وهو يوقد لها قنديلها :

« انها تبدو شديدة الامتقاع ، ولم تكن كذلك عادة »

وتناولت منه القنديل فى صمت ، ومضت ببطء نحو السلم المؤدى الى الطابق الاعلى

وفجأة أحس المستر ساترويت برعدة تسرى فى كيانه ، وبالرغبة فى المضى وراءها ليطمئنها . نعم فقد كان يشعر أنها معرضة لخطر ما . ولكنه لم يلبث ان احس بالخجل من نفسه . فلا شك ان أعصابه الليلة ليست كما ينبغى . ولكنه رآها تتلفت وراءها قبل ان تصعد ، وتلقى على زوجها نظرة طويلة مركزة ..

وقالت الليدى لورا وهى تصافح المستر ساترويت قبل ان تمضى :

ـ عيد ميلاد سعيد ، وارجو ان يكون اول رجل يدخل بيتنا الليلة او غدا ، اسمر اللون ، أسود الشعر . فأنت تعرف هذه الخرافة يامستر ساترويت ، عجبا !! الا تعرفها ؟ انه يقال أن الرجل الاسمر الذى يكون اول داخل الى البيت فى عيد راس السنة يجلب معه الحظ السعيد لاصحاب البيت

وبعد انصراف السيدتين ، تقارب الرجال الاربعة حول نار المدفأة ، وراحوا يتبادلون الحديث فى شتى الموضوعات حتى طرقوا الحديث عن صاحب البيت الاسبق ، المنتحر ، فقال السير ريتشارد كونوى :

ـ كنت تعرف ديريك كابل يا مستر ساترويت . أليس كذلك ؟ !

ـ نعم . قليلا

ـ وانت يا بورتال ؟؟

ـ لا ، لم اره قط .

وقد قالها اليكس بورتال بعنف جعل المستر ساترويت يلتفت اليه فجأة مندهشا .

وقال ايفشام ببطء :

— انني اكره دائما ان تشير زوجتي لورا الى هـــــذا الموضوع . فان هذا البيت ، بعد الحادث ، بيع لرجل اعمال اخرى ، ولكنه بعد عام بدأ يعلن عن بيعه بثمن منخفض ، وكثرت الشائعات عن وجود شبح فيه .. شبح صاحبه المنتحر . ولما دفعتني لورا لترشيح نفسي عن دائرة كيديلبي ، اضطررنا للبحث عن منزل مناسب للاقامة في هذه المنطقة ، واغراني ثمن هذا المنزل المنخفض ، فاشتريته ، وسواء صدقت الشائعات عن وجود الشبح فيه ام لم تصدق ، فان الانســـــان لايحب أن يتذكر دائما أنه يقيم في منزل انتحر فيه صديق ســـــابق له . مسكين ديريك كابل . اننا لن نعرف ابدا لماذا قتـــــل نفســـــه !

قال اليكس بورتال بصوت مثقل بالخمر :

— انه ليس أول ولا آخر رجل ينتحر بلا سبب معقول

وقال المستر ساترويت لنفسه ، وهو يتأمل وجه اليكس بورتـــــال :

« ان هذا الرجل ليس في حالته الطبيعية .. مطلقا ! ! لشد ما أتمنى لو أعرف ماذا يكربه !»

وقال ريتشارد كونوى :

— يا الهى . انصتوا الى عويل الرياح ! انها ليلـــــة عاصفـــــة !

وقال بورتال في ضحكة مستهترة :

— ليلة تصلح لان تكون مرتعا للاشباح . يبدو أن جميع شياطين الجحيم قد خرجت تعربد هذه الليلة

وهنا ضحك السير ريتشارد كونوى ، وقال :

— بناء على اقوال لورا ، ان أشد هذه الشياطـــــين

سوادا سوف يجلب لنا الحظ لو دخل الآن .. آه . ما هذا !

وكان صفير الرياح قد ارتفع الى طبقة الصراخ ، ثم بدأ يتلاشى رويدا رويدا عندما سمع الجميع ثلاث طرقات عالية على باب المنزل الخشبى الضخم

وقال توم ايفشام فى دهشة :

ــ ترى من يكون الطارق الآن ، بحق الشيطان .!؟

وبعد أن حملق كل منهم فى وجه الآخر ، أردف هو قائلا :

ــ لسوف أفتح الباب بنفسى . فان الخدم الآن نيام

واندفعت الرياح الباردة الى الداخل عندما فتح الباب ، ورأى أمامه رجلا طويلا نحيل الجسم ، ملوح البشرة ، يرتدى ملابس قيادة السيارات ، وتقدم هذا الرجل الى الداخل ، وهو يقول مبتسما فى لهجة اعتذار :

ــ معذرة أيهاالسادة ، فان سيارتى تعطلت فجأة ، وقد تركت سائقها يحاول اصلاح الخلل بها . وربما استغرق هذا الامر ساعة أو اكثر ، والجو فى الخارج قارس البرد ، ومن ثم رأيت أن ..

وتوقف عن الكلام فجأة ، فقال ايفشام متمما حديثه :

ــ نعم . نعم . تفضل بالدخول واشرب معنا كأسا . أخشى الا نستطيع أن نقدم لك أية مساعدة لاصلاح السيارة

ــ حسنا . ان السائق يجيد اصلاح السيارات بوجه عام . . واسمى ، بهذه المناسبة ، كوين . . هارلى كوين

ــ اجلس يا مستر كوين . . اقدم لك السير ريتشارد كونوى ، والمستر اليكس بورتال ، والمستر ساترويت ، وأنا أوم ايفشام .

وتبادل المستر كوين التحية مع كل منهم ، ثم جلس

بالقرنب من المدفأة ، وبعد أن تناول الكأس المقدمة اليه من توم ايفشام شاكرا ابتدره قائلا :

ــ اذن فأنت يا مستر كوين تعرف هذه النواحى جيدا !

ــ مررت بها منذ بضعة أعوام . وكان هذا المنزل ملكا لرجل اسمه المستر كابل

ــ أوه . نعم . ديريك كابل المسكين . أكنت تعرفه ؟

ــ نعم ، كنت أعرفه

وتغير موقف ايفشام من الرجل الغريب فى الحال . فبعد ان كان متحفظا معه ، كعادة الانجليز ، . اذا به يلقى التحفظ جانبا ، بعد أن عرف أن هذا الغريب كان صديقا لصديقه الراحل ديريك كابل ، ومن ثم قال :

ــ هذا عجيب . لقد كنا نتحدث عنه الآن ! وقد كنت فى هذا البيت عندما قتل نفسه وكذلك كان ريتشارد كونوى . ورغم أنى لا أؤمن بالاشباح ، فانى اتوقع بين لحظة واخرى ان ارى شبحه يقتحم علينا هذه القاعة .

ــ الواقع ان ذلك الحادث كان مفاجئا ، ولا تفسير له على الاطلاق .

فهتف ريتشارد كونوى فى حماس :

ــ انه سر غامض عجيب . فقد كان ديريك كابل فى اوج الحياة ، سعيدا ، لا يشغله هم من هموم الحياة . وكان قد دعا خمسة او ستة من الاصدقاء الى ضيافته ، وكان أثناء وجبة العشاء فى أحسن حالاته النفسية والمعنوية ، لا يكاديكف عن الخوض فى الحديث عن مشروعاته المستقبلة . لكن ماكاد ينتهى العشاء حتى صعد فورا الى غرفته وتناول مسدسه وقتل به نفسه .

لماذا ؟ لا احد يعرف ، ولن يستطيع أحد أن يعرف أبدا
فقال المستر كوين باسما :
ــ الا ترى أن الانسان لا يستطيع أن يتأكد من هذه الحقيقة يا سير رتشارد ؟
ــ ماذا تعنى ؟
ــ ليس من الضرورى أن يكون اللغز مستعصيا على الحل لأن أحدا لم يستطع أن يحله !
ــ أوه . اذا لم يستطع أحد أن يحل هذا اللغز فى حينه ، فهل يعقل أن يتمكن من حله بعد عشر سنوات من وقوع هذا الحادث ؟
وهز المستر كوين رأسه برفق ، وقال :
ــ اننى لا أتفق معك فى هذا . فان مرور الزمن فى كثير من الاحيان يجعل المؤرخ أقدر على فهم الاحداث وادراك أسبابها ومسبباتها . والمهم هو أن ننظر الى المشكلة نظرة شاملة ، نظرة تحيط بكل جوانبها ، و . .
وهنا صاح بورتال قائلا :
ــ انك على حق يا مستر كوين ! ان الزمن لا يهمل المشكلة ، وانما يجعل الانسان ينظر اليها من زاوية مختلفة ، أو جديدة
وابتسم ايفشام ، ثم قال :
ــ هل تعنى يا مستر كوين أننا ، مثلا ، لو عقدنا من أنفسنا لجنة تحقيق الليلة ، وتناولنا ، بالبحث ، الظروف والملابسات التى أحاطت بمقتل ديريك كابل ، فهل تعتقد أننا قد نعرف الحقيقة كما لو كنا قد بحثنا الامر عند وقوع الحادث؟
ــ بل الاحتمال الآن أقوى يا مستر ايفشام ، لأن

النزعات الشخصية لن يكون لهما وجود ، ولاننا سننظر الى الحقائق على انها حقائق فقط دون ان ننحرف بأفكارناومشاعرنا ونزعاتنا الخاصة .

ولما لاح الشك على وجه المستر ايفشام ، استطرد المستر كوين قائلا :

— وعلى الانسان فى هذه الحالة أن يبحث عن النقطة التى يبدأ منها . ونقطة البدء تقوم عادة على نظرية ما . ولا شك أن لكل منكم رأيه او نظريته الخاصة فى هذا الحادث . فما رأيك أنت ، مثلا ياسير ريتشارد !

فقطب ريتشارد كونوى ما بين حاجبيه مفكرا ، ثم قال :

— آه ! نعم طبعا ، لقد ظننا بطبيعة الحال ان فى الامر امرأة ، او أزمة مالية . والثابت ان حالة كابل المالية كانت ممتازة . اذن فماذا يمكن ان يكون السبب غير المرأة ؟

وأجفل المستر ساترويت قليلا فى تلك اللحظة ، وكان قد انحنى الى الامام ليدلى بملاحظة بسيطة ، ولكنه فوجىء حين لمح جسم امرأة منكمشة على نفسها فى ركن الشرفة العليا بحيث لم يكن احد يراها الا من حيث يجلس هو . وكان وضعها ينم بوضوح على أنها كانت ترهف أذنيها لتسترق السمع الى كل ما يقال .

وعرفها بسهولة عن طريق ثوبها .. أنها اليانور بورتال .

وفجأة بدا كل شيء واضحا أمامه . فان وصول المستر كوين فى تلك اللحظة لم يكن مجرد مصادفة ، وانما أقرب ما يكون الى ظهور الممثل على المسرح عندما يأتى دوره . وان هذه القاعة ، فى تلك الليلة ، لتبدو فى نظر المستر ساترويت

كمنسـ... رى عليه احدى مسرحيات الحياة العنيفة ، وذلك رغم أن الممثل الاول فيها ، رجـل مات منتحرا منـذ عشر سنوات . نعم . ان ساترويت واثق تماما بأن لديريك كابل دورا رئيسيا فى احداث هذه المسرحية التى تجرى أمام عينيه

ومرة أخرى ازدادت الحقائق وضوحا أمام عينيه فجأة . ان هذا كله من صنع المستر كوين . انه هو الذى أعد خشبة المسرح ، وهو الذى يوزع الادوار على الممثلين ، ويعيش فى قلب المسرحية ، يشد خيوطها غير المنظورة ، ويوجه الممثلين حسبما يريد ، ويعرف كل شىء حتى تلك المراة المنكمشة على نفسها فى الشرفة تسترق السمع .

ورأى المستر كوين أن يستطرد فى تحريك الممثلين على مسرحه بقوله :

ـــ نعم . ان فى الامر امرأة طبعا . ولاشك انكم تحدثتم أثناء العشاء عن المرأة ، أو عن امرأة معينة !

فهتف ايفشام قائلا :

ـــ عجبا ! طبعا طبعا . لقد أعلن لنا أثناء العشاء عن أنه يعتزم خطبة فتاة ، وهذا ما جعل انتحاره يزداد غموضا، بل وجنونا .. وكان سعيدا جدا وهو يلمح لنا عن الخطيبة الحسناء ، ويقول ان الخطبة سوف تعلن رسميا بعد فترة معينة من الوقت لاسباب خاصة .

وقال ريتشارد كونرى :

ـــ قد عرفنا بداهة ، من هى هذه الخطيبة المنتظرة ، أنهـا كانت مارجورى ويلك ، فتاة لطيفة حسناء فعلا

وهنا التفت المستر كوين الى ايفشام ، وقال متسائلا :

ـــ أهذا هو رأيك يا مستر ايفشام ؟

ـ اننى لا أدرى على وجه اليقين . لقد أعلن ... أنه خطب فتاة جميلة ، وانه لاسباب خاصة لن يعلن الخطبة رسيما الا بعد فترة معينة ، وأنه لايستطيع ان يذكر لنا اسم الخطيبة الا بعد موافقتها . ولكن المهم أنه وصف نفسه بأنه رجل محظوظ جدا ، وانه يريد ان يجعلنا ، كصديقين له ، ندرك انه سيكون فى العام التالى رجلا من أسعد الناس فى حياته الزوجية ، وبطبيعة الحال افترضنا ان الخطيبة هى مارجورى . فقد كانت علاقته بها وطيدة .

وعندئذ قال ريتشارد كونوى مترددا :

ـ ولكن العجيب فى الامر ، انه اذا كانت الخطيبة هى مارجورى ويلك حقا ، فلماذا كان يخفى اسمها عنا ؟ ولماذا كان يؤجل اعلان الخطبة رسميا فترة من الوقت ؟ لقد بدا لى عندئذ أنخطيبته سيدة متزوجة ، ومات زوجها حديثا ، أو طلقت منه .

فقال ايفشام :

ـ هذا أقرب الى المنطق الصحيح . وما دام الامر هكذا ، فمن الطبيعى أن يتكتم ديريك كابل اسم الخطيبة ولا يعلن الخطبة رسميا الا فى الوقت المناسب . واذا أنتم عدتم بالذاكرة الى ذلك العهد لتبينتم أنه لم يكن يلتقى بمارجورى كثيرا . وانى لاتذكر الآن ان العلاقة بينهما قد فترت كثيرا قبل وفاته بعام تقريبا .

فقال المستر كوينْ :

ـ هذا عجيب !

ـ نعم . لقد بدا كأنما دخلت فى حياته امرأة أخرى

فقال ريتشارد كونوى متأملا :

— امرأة اخرى !

وهتف ايفشام :

— بحق السماء . لقد كان ديريك فى تلك الليلة سعيدا الى حد النشوة والترنح من فرط السعادة . كان يبدو كمن شرب كأس الهناء المقدس ، وفوق هذا كان يبدو أيضا كالذى يتحدى الحياة والقدر

ورفع المستر ساترويت عينيه الى أعلى . آه نعم . إن اليانور بورتال لاتزال مكومة على نفسها تسترق السمع كأنها ، فى سكونها التام ، جثة هامدة .

وقال ريتشارد كونوى :

— هذا صحيح تماما . لقد كانت عواطف ديريك مهتاجة بالسعادة ، ويمكن القول أنه كان كالمقامر الذى لعب بكل ثروته ثم ربح رغم الاحتمال الضئيل فى الربح .

وهنا قال بورتال :

— أو لعله كان يستمد شجاعته مما عقد العزم عليه !

فقال ايفشام بعنف :

— لا ، لا ، ليس الامر كذلك ، ويمكننى أن أقسم أن شيئا من هذا لم يخطر بباله . ان كونوى أقرب الى الصواب. لقد كان ديريك يبدو كالمقامر الذى ربح بضربة حظ أكثر مما كان يتوقع ، ولهذا فهو لا يكاد يصدق أنه ربح فعلا

وعندئذ هز كونوى كتفيه ، وقال :

— ومع ذلك فقد انتحر بمسدسه بعد عشر دقائق

وخيم الصمت على الجميع ، وفجأة ضرب ايفشام المائدة بقبضة يده ، وقال :

— لابد أن شيئا ما قد حدث فى هذه الدقائق العشر .

لابد .. ولكن ما الذى حدث ؟ فلنحاول ان نفكر فيما حدث يامان .لقدك كنا جميعا نتحدث ، وفى منتصف الحديث ، نهض كابل وصعد الى غرفته

فقال المستر كوين :

ــ لماذا ؟ !

فقطب ايفشام جبينه مفكرا ، ثم قال :

ــ لم نهتم فى ذلك الحين بالسبب ، أوه .. انه ساعى البريد . الا تذكر يا كونوى كيف انفعلنا عند سماعنا صلصلة الجرس ، وكنا فى ذلك الحين محبوسين فى البيت بسبب انهمار الثلوج وتراكمها حوله لمدة ثلاثة أيام ؟ ! لقد حدثت فى تلك الايام عاصفة ثلجية لم يحدث مثلها منذ أعوام وأعوام. وكانت الطرق كلها مغلقة بسبب تراكم الثلوج ، فلا رسائل تصلنا ، ولا صحف أو مجلات . ولما صلصل الجرس ، ذهب ديريك كابل ليفتح الباب ، وما لبث أن عاد بكومة من الرسائل والصحف . وفتح احدى الصحف ليرى هل وقعت أحداث مثيرة ، ثم صعد بالرسائل الى غرفته ، وبعد ثلاث دقائق سمعنا الطلق النارى ! شىء لا يمكن تفسيره ابدا !

فقال بروتال :

ــ بل من الممكن تفسيره . فلعل كابل قرأ فى احدى الرسائل نبأ لم يكن يتوقعه .

فقال كونوى :

ــ أتظن أننا لم نفكر فى هذا الاحتمال ؟ لقد كان هذا أول سؤال القاه المحقق علينا . ولكن ثبت أنه لم يفتح رسالة واحدة ، فقد ظلت حزمة الرسائل بكاملها على مائدة الخزينة دون أن يفتح منها واحدة

فقال بورتال مترددا :

ـــ هل أنتم واثقون تماما أنه لم يقرأ رسالة منها ثم دمرها أو تخلص منها بعد ذلك ؟

ـــ هذا احتمال لم نغفل عنه أيضا ، ولكننا لم نر فى غرفته أو فى المدفأة أو فى أى مكان بالبيت بقايا رسالة ممزقة أو محترقة

ـــ هذا عجيب . عجيب جداً

وقال ايفشام بصوت خفيض :

ـــ ان الحادث فى جملته كان رهيبا ، مفاجئا ، لا معنى له . ولشد ما كانت صدمتنا حين صعدت أنا وكونوى اليه ، بعد أن سمعنا الطلقة النارية ، ووجدناه جثة هامدة

فقال المستر كوين :

ـــ ولم يكن فى وسع احدكما أن يفعل شيئا غير الاتصال تليفونيا بمركز البوليس .

ـــ لم يكن بالمنزل تليفون فى ذلك الحين . ولكن حدث ، لحسن الحظ أن كونستابل المنطقة كان فى المطبخ عندئذ . أتذكر ياكونوى ؟ لقد ضل أحد كلاب ديريك كابل طريقه فى الثلوج ، فى اليوم السابق ، أنه الكلب العجوز روفر ، وعثر عليه أحد الرجال ونصفه مدفون فى الجليد ، فحمله الى مركز البوليس حيث تعرف عليه الكونستابل وعرف أنه أحد كلاب المستر كابل الاثيرة لديه ، فحمله فى اليوم التالى الى البيت . وكان وصول الكونستابل بعد صعود كابل الى غرفته بدقيقتين تقريبا ، لاننى أذكر أننا سمعنا الطلق النارى بمجرد دخوله الى المطبخ ليصنع لنفسه قدح شاى .

يالله ! لقد أنقذ وجود هذا الونستابل موقفنا من الحـــــرج الشديد .

وقال كونوى مرتدا بذاكرته الى تلك الايام :

ــ يا للهول ! ما أفظع تلك العاصفة الثلجية التى كانت تهب يومذاك ! أعتقد اننا كنا فى أوائل شهر يناير .

ــ لا .. كنا فى شهر فبراير ، لاننا قمنا برحلـــة الى خارج البلاد بعد الحادث بوقت قصير .

ــ اننى واثق ان الوقت كان فى شهر يناير ، لأن العجوز « نيد » حارس الصيد فى مزرعتى ــ اتذكر نيد ؟ ، أصيب فى ساقه، وكان ذلك فى أواخر شهر يناير ، بعد الحادث بأيام عديدة .

ــ اذن لابد أن ماحدث كان فى أواخر شهر يناير . حقا ما اصعب أن يذكر الانسان التاريخ الصحيح لمثل هذه الاحداث بعد مرور سنوات عدة .

وهنا قال المستر كوين :

ــ ان هذا من اصعب الاشياء على الذاكرة فعلا . ولكن الانسان قد يتذكر فى دقة حادثا معينا فى حياته اذا كان حدوثه فى أثناء وقوع حادث عام مثير ، مثل مقتل ملك او نظر قضية كبيرة .

فصاح كونوى :

ــ نعم . نعم . ما أعجب هذا . لقد وقع الحادث قبل قضية ابلتون مباشرة .

ــ تعنى بعدها مباشرة ؟

ــ لا لا . الا تذكر ؟ لقد كان ديريك كابل يعرف آل ابلتون . كان قد أمضى الربيع الاسبق مع العجوز ابلتون ،

أى قبل موته باسبوع . والواقع أن ذلك العجوز ابلتون كان رجلا بغيضا ، ولا شك أن زوجته الشابة الحسناء عانت الكثير فى حياتها معه . ولم يكن ثمة ما يدعو الى الريبة يومذاك فى أنها هى التى دست السم له

فقال ايفشام :

ــ آه ! نعم . بحق السماء . اننى اتذكر الآن انى قرات فقرة فى الصحيفة التى أحضرها ساعى البريد مع رسائل ديريك كابل ، جاء فيها أن أمرا صدر باستخراج جثة العجوز أبلتون لتشريحها ومعرفة سبب الوفاة . لقد قرأت هذا النبأ بغير اهتمام لانى كنت أفكر وقتئذ فى جثة صديقى ديريك الهامدة ، الممددة فى غرفته بالطابق الاعلى .

فقال المستر كوين :

ــ هذه ظاهرة فكرية عجيبة رغم شيوعها ، فان التفكير فى ساعة الازمات كثيرا ما يتركز فى أشياء تافهة تظل عالقة بذهن الانسان سنوات عديدة . ويبدو أنها تنقش فى الذهن بسبب حالة الانفعال الشديد الذى يعانيه الانسان فى ساعة الازمة .

فقال كونوى :

ــ صدقت يا مستر كوين ، فقد أحسست فجأة ، وأنت تتحدث الآن ، انى انتقلت الى غرفة ديريك كابل ، حيث كان ملقى على الارض جثة هامدة ، وقد رأيت بوضوح الشجرة الكبيرة القائمة أمام النافذة ، وظلالها على الثلوج من تحتها

نعم ، كل شىء يتراءى لى الآن خارج النافذة واضحا فى ضوء القمر .. الشجرة ، والظلال ، والارض المكسوة بالجليد ، عجبا .. انى اكاد أرى كل شىء أمامى الآن .. اننى

استطيع ان ارسمها بدقة . ومع ذلك فلم أكن أدرى حينذاك انى تعمدت النظر الى هذا كله

فسأل المستر كوين :

— كانت غرفته هى القائمة فوق الشرفة السفلى الكبيرة ، أليس كذلك ؟

— نعم . وكانت الشجرة — شجرة زان كبيرة — قائمة فى منعطف الممر المؤدى الى البيت .

وأومأ المستر كوين براسه . وازداد انفعال المستر ساترويت وهو يدرك أن كل كلمة وكل نبرة فى صوت المستر كوين تحمل فى طياتها معنى معينا . لقد كان يهدف الى شىء ما . ولكن المستر ساترويت لم يكن يعرف على وجه اليقين ، ما هو ذلك الشىء .

وبعد لحظة ساد فيها الصمت ، عاد ايفشام الى الحديث عن الموضوع قال :

— اننى أتذكر قضية ابلتون الآن . ما اشد الضجة الاجتماعية التى أثارتها يومذاك ، ولكن المسز ابلتون الحسناء نجت بجلدها من حبل المشنقة ، أليس كذلك ؟ لقد كانت جميلة ، شقراء ذهبية الشعر الى حد يجبر الانسان على التطلع لمفاتنها .

وخيل الى المستر ساترويت انه راى المرأة التى تسترق السمع فى الشرفة العليا تزداد انكماشا على نفسها ، ولكنه فوجىء بصوت كأس يتحطم على الارض ، فالتفت ليرى اليكس بورتال يقول فى اضطراب واعتذار :

— اننى آسف . لقد وقعت الكأس من يدى ، ولا أدرى ماذا دهانى

فقال أيفشام ليهدىء من روعة :

— لا عليك يا صديقى العزيز . هذا عجيب ، ان تحطم هذه الكأس يذكرنى بشىء ما فى قضية أبلتون . آه .. لقد حطمت المسز ابلتون قنينة حفظ الشراب التى تعود زوجها أن يشرب منها كأسا كل ليلة .

— نعم . نعم لقد شاهدها أحد الخدم تأخذ القنينة — بعد وفاة زوجها بيوم — وتحطمها عمدا . وقد أثار تصرفها هذا تعليقات الخدم بطبيعة الحال . فقد كانوا جميعا يعلمون انهــا شقية فى حياتها مــع زوجها . وازدادت الاقاويل ، وانتشرت الشائعات ، وأخيرا ، بعد شهر من الوفاة ، قدم بعض أقارب المتوفى طلبا لاستخراج الجثة وتشريحها . وكانت المفاجأة الكبرى أن التشريح أثبت وفاة الزوج العجوز بســم الزرنيخ . اليس كذلك ؟

— لا .. بل بالاستركنين ، على ما أذكر . ولكن ليس هذا مهما ، وانما المهم أنه مات مسمما ، وأن الاتهام تركز فى شخص واحد ، هو زوجته الشابة الحسناء . وقدمت الى المحاكمة ، ولكن أطلق سراحها لعدم كفاية الادلة لا لثبــوت براءتها . والواقع أن الحظ كان معها ، فأنا لا أشك فى أنها هى الفاعلة . ولا أدرى ماذا حدث لها بعد ذلك .

— رحلت الى كندا على ما أظن ، أو الى استراليا فقد كان لها عم فى مكان ما وراء البحار عرض عليها الالتجاء اليه . وأخيرا فعلت .

ولاحظ المستر ساترويت كيف كان المستر بورتال يقبض على كأسه بعنف حتى لتوشك أن تتحطم بين أصابعه . أمــا ايفشام فقد قال وهو يملأ كأسه :

ـــ خسنا .. اننا لم نعرف بعد لمــاذا انتحر المسكين ديريك كابل . ان التحقيق فى سبب انتحــاره لم يسفر عن شيء . اليس كذلك يا مستر كوين ؟

وهنا أرسل المستر كوين ضحكة عجيبة ساخرة أثارت دهشة الجميع ، ثم قال :

ـــ معذرة أيها الســـادة ، انكم لا تزالون تعيشون فى الماضى بنفس مشاعركم ونظراتكم ونزعاتكم بالنسبة لحادث المسكين ديريك كابل . أما انـــا ، الغريب ، فانى أنظر الى الحقائق المتسلسلة ، نظرة خالية من العواطف الشخصيـــة

فقام ايفشــــام :

ـــ ماذا تعنى يا مستر كوين ؟ !

ـــ هلم نرجع بأفكارنا الى سنوات عشر لنرى مـــاذا حدث من وجهة النظر المحايدة .

ثم نهض بقامته الطويلة ، ووقف وظهره الى المدفأة ، وقال بصوت هادىء كأستاذ محاضر :

ـــ كنتم تتناولون العشاء ، وأعلن ديريك عن خطبته ، وظننتم انه يقصد مارجورى ويلك ، ولكنكم الآن غير واثقين بأنها هى الخطيبة التى كان يمنيها ، وكان هو فى حالة ابتهاج شديد ، كرجل استطاع أن ينجح ويتحدى القدر . ثم صلصل الجرس ، واستلم البريد الذى تأخر ثلاثة أيام بسبب العاصفة الجليدية . وقد ثبت أنه لم يفتح خطابا ، ولكنكم ذكرتم انه فتح احدى الصحف ليقرأ آخر الانباء . وقد مضى على تلك المشاهدات عشر سنوات ، ولعله قرأ يومذاك عن أزمـــة سياسية ، أو زلزال فى مكان بعيد ، فاننا لا ندرى ، ولكن النبأ الذى ورد فى الصحيفة يقينا ، هو صدور الامر الرسمى

باستخراج جثـــة المستر ابلتون لتشريحها ومعرفـــة سبب الوفاة .

ـــ ماذا ؟ !

واستطرد المستر كوين فى حديثه قائلا :

ـــ وصعد ديريك كابل بعد هذا مباشرة الى غرفته ، ومن هناك رأى شيئا من النافذة ، فقد ذكر لنا السير ريتشارد كونوى الآن أن الستائر لم تكن مسدلة ، وأنه رأى ، عنـــد صعوده الى الغرفة بعد الحادث ، الشجرة والممر وضـــوء القمر على الجليد ، فماذا رأى ديريك فى تلك اللحظة مما جعله يلجأ الى الانتحار مرغما ؟

ـــ ماذا تعنى ؟ ماذا عساه قد رأى ؟

ـــ أعتقد أنه رأى كونستابلا .. الكونستابل الذى جاء يحمل الكلب الضال ، ولكن ديريك كابل لم يكن يعرف هذه الحقيقة ، وانما ظن أن الكونستابل أتى لغرض آخر

وصمت المستر كوين برهة حتى يجعـــل معانى كلماته تترسب فى نفوس المستمعين ، وفجأة هتف ايفشام قائلا :

ـــ يا الهى ! انك لا تعنى هذا ؟ لا تعنى أنه قاتل العجوز ابلتون ! لقد مات الرجـــل بعد انصراف ديريك من ضيافته بأسبوع . وكان العجوز يقيم مع زوجته فقط عندما حدثت الوفاة

ـــ ولكنه كان هناك قبـــل الوفاة بأسبـــوع ، وكان فى مقـــدوره أن يضـــع الاستركنين فى قنينـــة حفظ الشراب ، والاستركنين ، كما نعرف جميعا ، لا يـــذوب بسهولة فـــى الكحول ، ومن ثم يترسب فى قاع القنينة ، وتحدث الوفاة به عندما يشرب الانسان الكأس الاخيرة أو قبل الاخيرة . فاذا

كان من عادته أن يشرب فى كل يوم كأسا واحدة ، فان قنينة حفظ الشراب لا تفرغ الا بعد عشرة أيام أو اكثر عادة .

وهنا وثب المستر بورتال وقال بعنف :

— ولكن لماذا ؟ لماذا حطمت هى القنينة عمدا ؟ لماذا ؟ اخبرونى لماذا ؟

ولاول مرة اتجه المستر كوين بالحديث الى المستر ساترويت ، وقال له :

— انك واسع الخبرة بالحياة يا مستر ساترويت ، ولعلك تستطيع ان تخبرنا لماذا ؟

وتهدج صوت المستر ساترويت وهو يدرك أن عليه ، الآن ، ان يلعب دوره على مسرحية الحياة هذه بعد ان ظل فى مقاعد المتفرجين ، وقد قال فى تواضع :

— أعتقد أنها كانت تحب ديريك كابل ، وكانت فى الوقت نفسه سيدة شريفة مخلصة لزوجها ، فطلبت من ديريك أن يرحل من البيت قبل ان تتمادى فى حبه . ولما مات زوجها ، خامرها الشك فى ديريك ، وظنت أنه هو الذى وضع سم الاستركنين فى قنينة حفظ الشراب ، فبادرت الى تحطيمها حتى تنقذه من المحاكمة . وأعتقد أنه أقنعها فيما بعد ، بأنه لا أساس لشكوكها ، فقبلت الزواج به ، ولكنها طلبت منه أن يمهلها فترة من الوقت . فان للنساء عادة غرائز حادة ، مرهفة .

وفرغ المستر ساترويت من أداء دوره

وسرت فى الجو همهمة زفرة طويلة جعلت ايفشام يقول مندهشا :

ـــ يا الهى . ما هذا ؟

وكان فى استطاعة ساترويت أن يقول لــه انها اليانور بورتال المختبئة فى الشرفة العليا . ولكنه آثر الا يفسد ذلك الجو المفعم بالاثارة والتشويق .

وابتسم المستر كوين قائلا :

ـــ أعتقد أن السائق قد أصلح الخلل فى سيارتى الآن . وانى أشكر لك حسن ضيافتك لى يا مستر ايفشام ، ولعلى أديت خدمة لصديقى .

وبينما كان الجميع يحدقون النظر اليــه فى دهشــة ، استطرد هو يقول :

ـــ ان هذا الجانب من الموضوع لم يخطر ببالكم ، لقد أحب تلك السيدة الشابة الحسناء مسز ابلتون . أحبها الى حد الاندفاع فى ارتكاب جريمة قتل . ولما أدرك أن الامــر قد انكشف . قتــل نفسه ، تاركا الحبيبة تواجــه الموقف العصيب بمفردها .

فقال ايفشام :

ـــ ولكن التهمة لم تثبت عليها .

ـــ نعم . وذلك لضعف الادلة . ولعلها حتى الآن لاتزال تواجه هذا الموقف العصيب .

وتهالك اليكس بورتال فى مقعده ، ودفن وجهه بين يديه

واستدار المستر كوين الى ساترويت ، وقال :

ـــ طاب يومك يا مستر ساترويت ، لاشــك أنك مهتم بهذه المسرحية الواقعية ، أليس كذلك ؟

وأومأ المستر ساترويت برأسه ، مندهشا

وبعد أن حيا كوين الجميع ، أستدار ومضى فجأة ، كما اقبل عليهم فجأة

وصعد المستر ساترويت الى غرفته بالطابق الاعلى ، وفيما هو يسدل الستائر على النافذة ، لمح المستر كوين وهو يمضى فى الممر الى سيارته . وفجـــأة فتح باب جانبى من المنزل ، وخرجت منه امرأة تجرى ، فلما لحقت بالمستركوين ، تبادلت معه كلمات قليلة ، ثم عادت الى المنزل . وفيما هى تقترب من نافذة المستر ساترويت ، فوجىء بالتغيير الهائل الذى طرأ على وجهها ، فبعد أن كان شاحبا جامدا ، اذا به وجه جديد .. وجه مفعم بالحيوية وحب الحياة ، وجه امرأة سعيدة كأنها فى حلم بهيج .

ـــ اليانور ؟

وانضم اليكس بورتال ، زوجها ، اليها وهو يردف قائلا

ـــ اليانور ؟ اغفرى لى ، واصفحى عنى . لقد كنت صادقة فى حديثك معى عن هذه المأساة ، ولكننى لم أستطع تصديقك .. هل يمكن أن تغفرى لى ؟

ولمـــا كان المستر ساترويت رجلا مهذبا لا يحب استراق السمع ، رغم اهتمامه بأسرار الناس ، فقد رأى أن يغلق النافذة . ولكنه اغلقها ببطء . وقد استطاع أن يسمع ـــ قبل أن يتم اغلاقها ـــ اليانور ، وهى تقول :

ـــ أنا أعرف .. أنا أعرف . لقـــد كنت تعيش معى يا أليكس فى جحيم . وقد عانيت هذا الشعور بنفسى ذات مرة . فقـــد أحببت ديريك كابل ، ولمـــا شككت فى أنه قاتل زوجى السابق ابلتون ، عشت فى جحيم من الشك والحب . ولا شك أن هذا شعورك معى وأنت تظن أننى القاتلة . لقد

ظل الحب والشك فى نفسك يتصارعان طوال هذه السنين ، وكنت أنا أيضا أعيش معك فى جحيم ، لانى كنت ادرك انك رغم حبك لى ، تخشانى ، وتخشى أن اقتلك يوما ، كما ظننت أني قتلت زوجى السابق . وأخيرا جاء هذا الرجل الغريب ، الذى ظهر واختفى كالشبح ، فوضـــع الامور فى نصابها ، وأنقذنا ، أنت وأنا ، مما نعانيه ، بل وأنقذنى أنا من الموت . نعم . فقد كنت أنوى الليلة ، بعد أن عيل صبرى ، أن انتحر! أليكس ، أليكس !

٢

الطائر الجريح

كان المستر ساترويت جالسا فى غرفـــة المكتبة الكبيرة بقصر أحـــد أصدقائه فى الريف الانجليزى . وكـــان بعض المدعوين الشبان فى القصر يعقدون ، على سبيل التسلية ، جلسة للتنويم المغناطيسى ، وكان أحدهم منوما يجيب على الاسئلة ، ويبلغ الرســـائل الروحية الى أصحابها ، وكان المستر ساترويت يرقب ما يجرى فى غير اهتمام شديد ، اذ كان يفكر فى العودة الى لندن لقضاء فصل الشتاء ، ولذلك أعتذر عن قبول دعوة مادج كيلى حين اتصلت به تليفونيـــا منذ ساعة ، وطلبت منه أن ينضم الى مدعويها فى قصر والدها ببلدة لايدل .

وفجأة تنبه من أفكاره على صوت الوسيط المنوم يقول :

ــ هذه رسالة الى المستر ساترويت . هل المســـتر ساترويت موجود ؟

ــ نعم

ــ المستر كوين . نعم المستر كوين يريد منه أن يذهب الى لايدل .. الى مادج كيلى . انتهت الرسالة .

ونهض ساترويت مدهوشـــا مذهـــولا ، وانصرف من الغرفة ، ومضى فورا الى التليفون حيث اتصل بمادج كيلى ،

فلما سمع صوتها قال :

ـ اسمعى يا عزيزتى مادج . لقد غيرت رأيى وقررت أن أقبل دعوتك الرقيقة . نعم . نعم . سوف أكون عندك فى وقت العشاء .

وأعاد المسماع الى مكانه وهو مضطرم الوجه بالاثارة والانفعال أن كوين ـ هذا الرجل الخفى العجيب هارلى كوين ـ قد اختار هذه المرة الوسيط المغناطيسى ليبلغه هذه الرسالة . وما دام الامر كذلك ، فلا بد أن أحداثا خطيرة سوف تقع ، أو توشك أن تقع ، فى قصر مادج كيلى ببلدة لايدل .

وأدرك انه أيا كانت هذه الاحداث ، فلا شك أن له دورا ايجابيا فيها ، والا لما طلب منه ، هذا الشبح الآدمى الخفى ، أن يقبل الدعوة ، ويذهب فورا .

وكان قصر « لايدل » كبيرا رحيب القاعات والابهاء ، يمتلكه المستر دافيد كيلى ، وهو أحد الرجال الهادئين ذوى الشخصية الضعيفة ، وهو لايعدو أن يكون جزءا من أثاثات البيت . ولكن شخصيته الضعيفة لا علاقة لها بعقله القوى . فقد وضع كتابا فى الرياضيات العليا لا يستطيع أن يفهمه تسعون فى المائة من القراء الا أنه ـ على عكس الرجال النوابغ ـ لايدع عقله القوى يشع حوله بالنور والجاذبية . ولهذا كثيرا ما كان أهالى المنطقة يتندرون عليه بقولهم أنه « الرجل الخفى » . فالخدم يتجاوزونه وهم يحملون الطعام الى الضيوف ، والضيوف ينسون أن يلقوا عليه التحية عند وصولهم .

ولكن ابنته مادج كانت تختلف عنه كثيرا ، فهى شـــابة فى نحو الثلاثين من عمرها ، طويلة القامة ، رائعة المظهر ، موفورة الحيويـــة والنشاط ، سليمة الجسم ، جميلـــة الى حـــد كبير .

وكانت هى التى استقبلت المستر ساترويت عند وصوله بقولهـــا :

— لشد ما سرنى حضورك ، بعد أن اعتذرت أول مرة!

— أوه ، مادج ، ياعزيزتى ، انك تبدين فى حالة طيبة

— نعم . نعم . اننى دائما فى أحسن حال

— أعرف هذا . ولكننى أرى ان هناك ما يجعل وجهك يشع بالسعادة والابتهاج ، فهل حدث شيء ياعزيزتى ؟ أعنى شيئا خاصا ؟

فاضطرم وجهها خجلا وضحكت قائلة :

— دائما تصدق فى استنتاجاتك يا مستر ساترويت !

ثم أخذت يده بين يديها وأردفت قائلة :

— نعم يا مستر ساترويت ، ياعزيزى ، لقد حـــدث شيء هام ، ووصل فارس الاحلام .

فضحك ساترويت وقال :

— اذن يجب أن أسألك من يكون هذا الفارس السعيد . كل ما أرجوه ان يكون جديرا بالشرف الذى تسبغينه عليه

— أوه ، تأكد أننا سنسعد معـــا ، فاننا نحب نفس الاشياء ، وهذا أمر مهم جـــدا ، وآراؤنا متفقة فى جوانب كثيرة . وكل منا يعرف الكثير عن الآخر ، والواقع ان هذا « الحدث » كان يختمر بيننا منذ أمد بعيد . ولا شك ان هذا يفعم النفس بالامن والاطمئنان . اليس كذلك ؟

ـــ نعم طبعا . ولكن الانسان عادة لايستطيع أن يعرف الحقيقة الكاملة عن أى شخص آخر . ولا شك ان هذا جزء من جمال الحياة .

فضحكت مــادج وقالت وهى تمضى بــه الى الغرفــة المخصصة له :

ـــ أوه ! لسوف استمتع بالمغامرة على كل حال .

وتأخر المستر ساترويت عن موعد العشاء قليلا ، لانه لم يصحب معه تابعه الخاص ، وكان يحب أن يرتب حاجياته بنفسه ، وبعناية خاصة . ومن ثم وجد جميع المدعوين حول مائدة العشاء حين وصل اليها ، وسمع مادج تقول بلا كلفة :

ـــ أوه ! أسرع يا مستر ساترويت ، فاننا نكاد نموت جوعا . هلم نبدأ !

واستقبلته مع سيدة طويلة القامة ، قــد وخط الشيب شعرها ، قوية الشخصية ، رنانة الصوت ، واضحة النبرات

ـــ كيف حالك يا مستر ساترويت ؟

وجفل المستر ساترويت حــين راى المستر دافيد كيلى يحييه ، فقال معتذرا :

ـــ معذرة يا مستر كيلى . فالواقع انى لم أرك

ـــ لا عليك ، فان أحدا لايرانى عادة

وأخــذ الجميــع يتبادلون الاحــاديث والضحكات وهم يتناولون العشاء ، وكان هو يجلس بين مادج وبين فتــاة سوداء الشعر ، قصيرة القامة ، عالية الضحكة ، قويــة الارادة كمــا يبدو من حديثها وصــلابة ملامحها ، اسمها دوريس ، وكانت فى جملتها من الطراز الذى لا يميــل اليــه المستر ساترويت . والى جانب مادج من الناحية الاخــرى

جلس رجل فى نحو الثلاثين من عمره ، يبدو من الشبه الواضح بينه وبين السيدة ذات الشعر الاشيب انه ابنها ، والى جانبه جلست فتاة جعلت المستر ساترويت يحبس أنفاسه من فرط الدهشة والعجب .

انه لم يدر كيف يصفها ! انها لم تكن الجمال مجسما ، وانما كانت شيئا آخر ، شيئا أكثر مرونة واكثر غموضا من الجمــال .

كانت تنصت الى حــديث المستر دافيد كيلى ــ والد مادج ــ وهى تميل براسها جانبا . كانت موجودة ، ولم تكن موجودة فى وقت واحد ، فى رأى المستر ساترويت . كانت تبدو أنها أرهقت كثيرا من الناحية المادية البشرية من جميع الجالسين حول المــائدة البيضاوية . وكان فى تكوين جسمها نسق جميل ، بل أكثر من جميل ، وحين رفعت عينيها الى ناحية المســتر ساترويت ، والتقت بعينيه فى نظرة دامت دقيقة ، اذا هو يجد التعبير الملائم : فاتنة !! نعم . كانت موفورة السحر والفتنة . ولعل من يراها يحسبها احــدى هذه المخلوقات الرقيقة العذبة التى تحدثنا عنها الاساطير ، وكان مجرد وجودها يجعل الجميع يبدون أكثر واقعية ومادية ولكنها فى نفس الوقت ، وبطريقة عجيبة غريبة ، كانت تثير فى نفسه العطف والرثاء ، وكأنما كانت رقتها البالغة التى تجعلها لا تشبه البشر ، تعوقها عن الظهور بالمظهر الطبيعى . ووجد المستر ساترويت يقول لنفسه :

« ما أشبهها بطائر مهيض الجناح ! »

ولمــا اطمأن الى هذا التعبير ، تنبه لنفسه ، وتمنى لو أن الفتاة دوريس الجالسة بجانبه لم تلحظ ذهوله ، ولكنه

رآها مشغولة بالحديث الى رجل بجانبها لم يلحظه المستر ساترويت من قبل . وأخيرا استدار هو الى مادج وقال بصوت خافت :

— من هذه السيدة الجالسة بجوار والدك ؟ !

— المسز جراهام ؟ أوه لا . لاشك أنك تعنى مابل . الا تعرفها ؟ مابل أنيسلى ، أنها من أسرة جلاديسلى . واحدة من أسرة جلاديسلى المنحوسة الطالع !

ودهش لهذا التعبير ، ولكنه تذكر . فقد قتل شقيق فى هذه الاسرة نفسه بالرصاص ، وغرقت أخت ، ومات ثالث فى زلزال . انها أسرة يطاردها النحس بشكل عجيب . ولاشك أن مابل هذه هى صغرى الاخوة والاخوات .

ومرة أخرى أفاق من أفكاره حين أحس بيد مادج تضغط على يده تحت المائدة ، ثم تهمس له فى خفوت وهى تومىء برأسها نحو اليسار :

— هذا هو !

أومأ المستر ساترويت برأسه سريعا فى فهم وادراك . اذن فهذا هو الشاب جراهام الذى وقع عليه اختيار مادج . حسنا ، انه لم يكن فى مقدورها أن تختار أفضل منه من ناحية المظهر . فقد كان وسيما ، لطيفا طبيعيا فى أحاديثه ، ولاشك أنه سيكون أنسب زوج لمادج .

ولما كانت مادج تتبع النظام القديم فى آداب المائدة ، فقد تركت السيدات ينصرفن أولا من قاعة الطعام . ومن ثم اقترب المستر ساترويت من الشاب جراهام ، وراح يتحدث معه ورغم انه تأكد من صدق حدسه عنه ، الا أنه لاحظ يد الشاب وهى ترتعد حينما كان يرفع الكأس الى

شفتيه ، كما لاحظ انه شارد الذهن ، مشتت الفكر بعض الشيء .

وقال ساترويت لنفسه :

« ان هناك ما يشغل تفكيره ! وقد لا يكون بالاهمية التى يظنها ، وعلى كل حال ترى ماذا يشغل باله بهذه الصورة ؟»

وكان ساترويت قد اعتاد أن يتناول بعض أقراص الهضم عقب تناول الطعام ، ولما كان قد نسى علبة الاقراص فى غرفته بالطابق الاعلى ، فقد صعد اليها ، وفى اثناء هبوطه ومروره فى الدهليز الطويل المؤدى الى غرفة الجلوس ، تسمر مكانهفى منتصف الدهليز أمام باب غرفة كانت تسمى « غرفة الشرفة »، وكان الباب مفتوحا قليلا ، وضوء القمر ينسكب فى الغرفة من خلال نوافذها الشبكية ، ويرسم بخيوطه الفضية أشكالا هندسية عجيبة ، ورأى ساترويت على حافة النافذة سيدة جالسة ، مائلة الجسم قليلا ، تداعب بأناملها أوتار قيثارة . فتصدر نغمات عذبة حالمة ، وصوتها الناعم الخافت يصاحب النغمات كأنه هديل الحمام . وكان ثوبها من الشيفون الفاخر، الازرق اللون ، وكان مكششا ومقصصا حتى بدأ كأنه ريش طائر .

ودخل الغرفة ، خطوة ، خطوة ، حتى اذا اقترب منها ، ورأى وجهها ، ورأته ولم تندهش ، ولم تجفل ، فقال معتذرا :

— أرجو ألا أكون قد أزعجتك !

— أرجوك . . أجلس !

وجلس بجانبها على مقعد من خشب الزان المصقول البراق . وبعد أن ترنمت بصوت ناعم ، قالت :

ــ ان هذه الليلة مشحونة بالفتنة والسحر . الا ترى هذا ؟

ــ نعم . أن فيها شيئا كثيرا من السحر !

وقالت شارحة الموقف :

ــ لقد طلبوا منى أن آتى بقيثارتى من غرفتى لاعزف لهم عليها ، وفيما أنا أمر على هذه الغرفة ، سحرنى ضوء القمر ، واحسست برغبة شديدة فى الانفراد بنفسى ، فى الظلام ، وفى ضوء القمر .

فنهض ساترويت معتذرا وقال :

ــ اذن فلا شك أنى أفسدت هذا الجو .

ــ لا . . لا . . لا تذهب ، انك زدته سحرا .

ولما جلس ، استطردت هى تقول :

ــ ان الهدوء العجيب يرين على هذه الليلة . وقد خرجت فى غروب اليوم الى الغابة ، والتقيت برجل ، طويل نحيل ، ملوح البشرة ، عجيب السمت ، كأنه مهرج « هارليكوين » تحت ضوء الشمس الغاربة المتسلل من أوراق الشجر .

ومال ساترويت الى الامام وقال :

ــ آه ! ! . .

ــ وأردت أن أتحدث معه ، وقد بدا لى كأنى أعرفه من قبل ولكنه اختفى بين الشجر .

ــ أظن أنى أعرفه !

ــ أحقا ؟ انه رجل عجيب ، اليس كذلك ؟

ــ نعم . .

وساد الصمت برهة ، وأراد ساترويت أن يقول شيئا ،

فلم يستطع الا أن يتمتم قائلا فى ارتباك :

— أن الانسان ، عندما يشعر بالتعاسة ، يحب أحيانا أن ينفرد بنفســـه .

فقاطعته قائلة :

— نعم . هذا حق . ولكننى اعتقد أن الاصح هـــو أننى اردت الانفراد بنفسى لانى أشعر بالسعادة .

— أتشعرين بالسعادة اذن ؟

— جـــدا ، جـــدا .

وكانت تتحدث بهدوء ، ومع ذلك فقد ادرك ساتروويت انها حين تتحدث عن السعادة ، فانما تعنى بحديثها شيئـــا آخر غير الذى تعنيه مثلا فتاة مثل مادج حين تتحدث عـــن السعادة . ان السعادة فى رأى مابل آنيسلى لابد أن تكـــون نوعا من اللذة والنشوة والمتعة البالغة .

وقال فى حـــذر :

— أننى لم اكن أعرف .

— نعم . نعم . انك لم تعرف بعد . فأنـــا لست الآن سعيدة ، ولكننى سأغدو بعد أيام قليلة اسعد انسانة فـــى الدنيـــا . سأكون كالرجل الذى عاش سنوات فى غابة مظلمة رهيبة زاخرة بالمخاطر والمهالك ، وبعد أن كاد يموت يأسا ، اذا به يجد نفسه خارج الغابة ، يطل على مدينـــة الاحـــلام التى طالما هفا اليها وتمنى بلوغها ، ولم يبق عليه الا أن يخطو خطوة واحدة لتتحقق له كل أمانيه .

وقال ساترويت :

— ان كثيرا من الاشياء تبدو جميلة قبل أن نصل اليها . وان اقبح الاشياء فى العالم قد تلوح جميلة ونحن ننظر اليهـــا

من بعيد ، ونتمنى الحصول عليها .

وتوقف ساتروويت من الحديث حين سمع وقع خطوات وراءه ، فلما التفت ، رأى رجلا ينم وجهه على الغباء والبرودة وكأن نفس الرجل الذى لم يثر اهتمام ساتروويت اثناء العشاء وقال الرجل لمابل :

— انهم فى انتظارك يا مابل ..

ونهضت مابل وقد تلاشت كل امارات السعادة من وجهها ،وقالت بصوت بارد هادىء :

— اننى آتية ياجيرارد ، كنت اتحدث فقط مع المستر ساتروويت .

وانصرفت عن الغرفة ، وتبعها ساتروويت بعد أن القى نظرة سريعة على وجه زوجها — جيرارد — ورأى عليه مزيجا من اللهفة والحرمان واليأس .

وقال لنفسه : « ياللمسكين .. يبدو أنه مسحور بزوجته ، ومحروم منها فى نفس الوقت » .

وفى غرفة الجلوس ، جلست مابل بين المدعوين جميعا ، واخذت تغنى على نغمات قيثارتها ، والجميع يرددون المقطع الاخير من غنائها .

وفيما كان ساتروويت يفكر فى احدى الاغنيات الاثيرة لديه ، اذا بمابل تقطع غناءها ، وتنظر اليه ، ثم تبتسم وتبدأ فى ترديد هذه الاغنية التى يفضلها : « ياحماتى الجميلة .. »

وانفضت الجلسة بعد ذلك ، وقدمت مادج الى الجميع الكؤوس الاخيرة ،بينما كان والدها دانيد كيلى يعبث بأصابعه فى أوتار القيثارة محاولا أن يلعب عليها فى ذهول وشرود ذهن . وتبادل الجميع تحيات المساء ، واقتربوا من باب الغرفة

للانصراف الى مضاجعهم ، وكانوا جميعا ، كالمعتاد ، يتحدثون فى وقت واحد ، وأخيرا انصرف جم ا. د انيسلى زوج مابل تاركا وراءه الآخرين .

وخارج غرفة الجلوس ، تبادل ساترويت تحية المساء مع المسز جراهام والدة الشاب الذى تبادله مادج الحب ، وكان للطابق الاعلى سلمان : سلم قريب ، وآخر فى نهاية الدهليز . وصعدت المسز جراهام وابنها الى غرفتيهما فى الطابق الاعلى عن طريق السلم القريب ، وهو نفس السلم الذى صعد عليه قبلها جيرارد انيسلى .

وقالت مادج لمابل :

— يحسن أن تأخذى قيثارتك من غرفة الجلوس يا مابل، لانك اذا لم تأخذيها الآن ، فربما تنسينها غدا عند رحيلك ، لا سيما وأنت تنوين الرحيل فى ساعة مبكرة .

وقالت الفتاة دوريس كولز وهى تمسك بذراع ساترويت:

— هلم يا عزيزى ، فقد آن وقت النوم .

وتناولت مادج ذراعه الاخرى ، وسار الثلاثة نحو السلم الذى فى نهاية الممر ، وضحكات دوريس تجلجل فى المكان كله . وفى نهاية الممر ، وقفوا ينتظرون دافيد كيلى الذى جاء وراءهم وهو يطفىء الانوار الواحد بعد الآخر وهو فى طريقه اليهم . وأخيرا صعد الاربعة الى غرفاتهم .

***

وفى صباح اليوم التالى ، بينما كان المستر ساترويت يتأهب للهبوط الى طعام الافطار ، أقبلت اليه مادج كيلى بوجه شديد الامتقاع ، وقالت له وهى ترتعد بشدة :

— أوه .. مستر ساترويت . ياللفظاعة !

ـ ماذا حدث ياعزيزتى ؟
ـ مابل ـ مابل أنيسلى !
ـ ماذا بهـا ؟
ـ شنقت نفسها الليلة الماضية فى باب غرفتهـا يا الهـى ! ..

وانهارت مادج باكيـة ..

وهدا ساترويت من روعها بكلمات قليلة مألوفة فى مثل هذه المواقف ، ثم أسرع بالهبوط الى الطابق الاول حيث وجد المستر دافيد كيلى مضطربا مرتبكا يقول :

ـ لقد اتصلت بمركز البوليس تليفونيا يامستر ساترويت. ويبدو انها ماتت ، هكذا قال الطبيب الذى فرغ الآن من فحص جثتها . يا للفظاعة . لاشك أنها كانت شقية فى حياتها الى حد اليأس .. والا لما فعلت بنفسها هذا !

ـ نعم نعم . هذا ما يبدو ، لاشك فى هذا .

ثم تردد برهة ، واردف قائلا :

ـ هل يمكن ان .. أن آراها ؟

ـ أوه . يمكنك طبعا . لقد نسيت انك تهتم بمثل هذه الاحداث .

وصعد معه على درجات السلم العريض ، وهناك فى أول الطابق الثانى كانت غرفة روجر جراهام ، وفى مواجهتهمـا ، غرفة والدته المسز جراهام . وكان باب هذه الغرفـة الثانية مفتوحا قليلا ، وتنساب منه سحابة خفيفة من الدخان .

وخامرت الدهشة عقل المستر ساترويت . فما كان يظن ، أن المسز جراهام سيدة تدخن فى بكورة الصباح بمثل هذه الكثرة .

وسارا معا فى الدهليز حتى وصلا الى الباب الاخير وفتحه المستر دافيد كيلى ودخل ووراءه المستر ساتروويت . وكانت الغرفة كبيرة تدل على انها غرفة رجل ، وفى الجدار الايسر منها باب أوسط يفضى الى غرفة مجاورة ، ومن أعلى الباب الثانى لهذه الغرفة كانت تتدلى قطعة من الحبل . اما على الفراش ، فكانت ترقد مابل ، جثة هامدة ، رهيبة المنظر.

ووقف ساتروويت برهة ينظر الى المراة التى كانت قبل ساعات معدودة تنبض بالحياة ، وبالسحر والفتنة ، وكانت لاتزال ترتدى ثوبها الشيفون المكشش والمقصص كأنه ريش طائر ..

ونظر اخيرا الى الباب والى قطعة الحبل المدلاة منه ، ثم انتقل بنظراته الى الباب الاوسط وقال لدافيد كيلى مشيرا اليه :

ــ هل كان هذا الباب الاوسط مفتوحا ؟ !

ــ نعم . هكذا قالت الخادمة .

الم يسمع انيسلى ، زجها ، شيئا وهو نائم فى هذه الغرفة المجاورة ؟

ــ يقول انه لم يسمع شيئا .

ــ هذا عجيب .. أين هو ؟

ــ ولما هبطا الى الطابق الاول ، وجدا المفتش وتكفيلد ، الذى يعرفه ساتروويت ، فى طريقه مع الطبيب الى غرفة القتيلة . وبعد لحظات ، عاد المفتش وطلب من الجميع أن يجتمعوا به فى غرفة الجلوس .

وكانت دوريس كولز تمسح الدموع من عينيها وهى تبدو

وكذلك كانت المسز جراهام ، رزينة هادئة ، بعكس ابنهـا روجر الذي بدا مضطربا اشد الاضطراب . اما المستر دافيد كيلى ، فكان ، كالمعتاد ، لا يكاد يحس به احد . وجلـس الزوج الحزين ، بمفرده ، فى جانب من الغرفة ، تطل مـن عينيه نظرات ذاهلة شاردة كأنه لا يصدق ماحدث .

ورغم ماكان يبدو على المستر ساترويت من هدوء ظاهرى، الا انه كان شديد الانفعال ، موفور الحماس للدور الـذى سيقوم به فى هذه المأسـاة .

واقبل المفتش يتبعه الدكتور موريس ، ثم أغلق بـاب الغرفة وجلس . وبعد أن تنحنح تحدث بكلمات قليلة مناسبة، ثـم قال :

ــ لسوف أبدأ الآن بالحديث مع المستر انيسلى ، بصفته زوج .. المتوفاة . ارجو يا مستر انيسلى أن تخبرنى ، هل سبق ان سمعت زوجتك تهدد بالانتحار ؟ !

وفتح ساترويت شفتيه رغما عنه ، ولكنه أسرع وزمهما قائلا لنفسه ان فى الوقت متسعا للحديث فيما بعد .

وقال أنيسلى بصوت متردد جعل الجميع يركزون انظارهم عليـه :

ــ لا . لم اسمعها ابدا تهدد بالانتحار .

ــ هل كنت تعرف انها لسبب ما ، كانت شقية فى حياتها؟

ــ لا . لم اكن أعرف شيئا من هذا .

ــ الم تحدثك ، مثلا عن شعور مفاجىء بالانقباض وتوتر الاعصـاب ؟

ــ لا. لا ابـدا

ــ هل يمكن ان تصف لى فى ايجاز ما حدث ليلة امس ؟

ـ لقد ذهبنا جميعا الى غرفنا لننام . وقد استغرقت فى النوم فلم اسمع شيئا أو اشعر بشىء . ولم استيقظ الا على صراخ الخادمة فى الصباح ، فهرعت الى الغرفة المجاورة عن طريق الباب الاوسط ، فوجدت زوجتى ، وجدتها . . .

واومأ المفتش براسه ، وقال :

ـ نعم . نعم . لا داعى للاستطراد فى الحديث عما رايت . ولكن اين رايت زوجتك آخر مرة ليلة أمس ؟

ـ هنا . فى هذه الغرفة !

ـ هنا ؟ !

ـ نعم . فقد كنت اول من انصرف منها ، وصعدت فورا الى غرفتى ، تاركا الجميع يتبادلون الحديث قبيل ذهابهم الى غرفهم .

ـ الم تر زوجتك بعد ذلك ؟ الم تتبادل معها تحية المساء كالمعتاد عندما وصلت الى فراشها ؟

ـ كنت نائما عندما وصلت كما يبدو .

ـ ولكنها تبعتك فورا . اليس كذلك يا مستر كيلى ؟

ونظر الى دافيد كيلى الذى أومأ براسه . ولكن انيسلى قال باصرار :

ـ انها لم تكن قد عادت الى غرفتها رغم مرور نصف ساعة من وصولى الى غرفتى .

والتفت المفتش الى المسز جراهام وقال :

ـ هل دخلت غرفتك لتتبادل معك الحديث يا مسز جراهام ؟

وخيل الى ساترويت ان المسز جراهام ترددت قليلا قبل أن تقول بثبات :

ـ لا . لقد اويت الى غرفتى ، واغلقت الباب من الداخل ولم اسمع شيئا .

وعاد المفتش يسأل انيسلى قائلا

ـ وانت يا سيدى ، تقول انك لم تر او تسمع شيئا . الم يكن الباب الاوسط مفتوحا ؟

ـ اظن ذلك ! ولكن كان فى مقدور زوجتى أن تدخل غرفتها من الباب الآخر ، المؤدى الى الدهليز مباشرة .

ـ وحتى لو انها دخلت من هذا الباب ، فلا بد انك سمعت اصواتا معينة ، مثل حشرجة الاختناق ، أو الاحتضار ، الألم ، أو اصطدام كعبيها فى الباب .

ـ لا . لم اسمع شيئا .

وهنا لم يستطع المستر ساترويت أن يكبح جماح لسانه ، فقال :

ـ معذرة ياسيدى المفتش . انك تسير فى طريق خاطىء . فان ما بل انيسلى لم تنتحر ، وانما قتلت . انا واثق من هذا ! !

وخيم الصمت الرهيب على الجميع برهة ، واذا المفتش يقول :

ـ ما الذى يدفعك الى هذه الثقة ؟

ـ شعورى الخاص . وهو شعور قوى .

ـ ولكننى اعتقد انه لابد ان يكون هناك سبب اقوى من مجرد الشعور .

وقال ساترويت لنفسه :

« طبعا هناك سبب اقوى ، انها رسالة كوين الخفية ، ولكننى لا استطيع أن اقول هذا للمفتش »

وبصوت مسموع قال :

— فى الليلة الماضية ، عندما كنت اتحدث معها ، قالت لى انها سعيدة ، سعيدة جدا جدا . انها سوف تغدو بعد أيام قليلة أسعد امرأة فى الدنيا ، فكيف يتفق هذا مع الانتحار ؟

ثم اردف قائلا بصوت الرجل المنتصر :

— وقد عادت الى غرفة الجلوس لتأتى بقيثارتها حتى لا تنساها عندما ترحل عن القصر فى ساعة مبكرة من الصباح ، فهل هذا سلوك امرأة تنوى الانتحار فى نفس الليلة ؟

فقال المفتش موافقا :

— لا. طبعا لا

ثم استدار الى دافيد كيلى وقال له :

— هل اخذت معها قيثارتها الى غرفة نومها ؟

ففكر دافيد كيلى برهة ثم قال :

— نعم . أعتقد هذا . لقد صعدت درجات السلم وهى تحملها . فأنا أعتقد انى رأيتها فى يدها وهى تنعطف فى منحنى السلم قبل أن أطفىء الانوار ..

فهتفت مادج قائلة وهى تشير الى مائدة قريبة :

— عجبا ! ولكن القيثارة موجودة هنا فى هذه الغرفة ، على هذه المائدة ..

فقال المفتش وهو يخطو بسرعة ويضغط على جرس الخدم :

— هذا غريب ! ...

ولما حضر أحد الخدم ، طلب منه استدعاء الخادمة المخصصة لترتيب الغرف فى الصباح وكانت الخادمة ، حين

أقبلت ، واثقة من اجابتها . فقد قالت أن القيثارة كانت أول شيء رأته فى هذه الغرفة ، غرفة الجلوس ، عندما جاءت لترتيبها فى الصباح .

وصرفها المفتش وتكفيلد ، ثم قال وهو يلوى شفتيه :

ــ أحب أن أتحدث على انفراد مع المستر ساترويت .

ارجو من الجميع الانصراف الآن ، على الا يغادر احد الدار .

وقال ساترويت متململا بعد أن انصرف الجميع واغلقوا وراءهم الباب :

ــ أنا واثق تماما ياسيدى المفتش أن خيوط القضية قد اصبحت كلها بين أصابعك . والواقع اننى أحسست بأن فى الامر جريمة ، وان احساسى فى هذه الناحية قوى .

ــ انك على حق يا مستر ساترويت . فهذه السيدة لم تنتحر ، وانما قتلت .

فقال ساترويت مدهوشا :

ــ أكنت تعرف هذا ؟

فأجاب المفتش قائلا وهو ينظر الى الدكتور موريس الذى ظل جالسا فى هدوء :

ــ هناك بعض الظواهر التى أثارت شكوك الدكتور موريس . فبعد الفحص الدقيق ، ثبت لنا أن الحبل الذى وجدناه حول عنقها ، لم يكن نفس الحبل الذى اختنقت به . لقد اختنقت بحبل أقل سمكا بكثير . حبل رفيع جدا يشبه السلك ، لانه غاص فى لحم العنق . وبعد أن تم خنقها لف عنقها بالحبل الآخر المعلق بباب غرفتها لكى يبدو الأمر كأنه حادث انتحار ..

ــ ولكن . . من ؟ !

— هذه هى المشكلة : من القاتل ؟ ! ما رأيك فى الزوج الذى ينام فى الغرفة المجاورة ، والذى لا يتبادل مع زوجته تحية المساء ، والذى لم يسمع شيئا ؟ ان الامر واضح بالنسبة اليه . ويحسن أن نعرف كيف كانت الحياة الزوجية بينه وبين المجنى عليها . فهل يمكن أن تساعدنا فى هذا الامر يا مستر ساترويت ؟

فشد ساترويت قامته ، وقال محتجا :

— ارجو ياسيدى المفتش أن تعفينى من ...

— ليست هذه أول جريمة غامضة تساهم فى كشف أسرارها يا مستر ساترويت . انك موهوب فى هذه الناحية .

نعم . نعم . هذه حقيقة ! انه موهوب فى هذه الناحية .

وقال ساترويت بابتسام :

— لسوف ابذل جهدى يا سيدى المفتش .

هل جيرارد انيسلى هو قاتل زوجته حقا ؟ ان ساترويت يتذكر النظرة البائسة التى رآها تطل من عينيه فى الليلة الماسية . لقد كان يحبها ، وكان يشقى بهذا الحب . والشقاء فى الحب يدفع المحب أحيانا الى أفعال عجيبة شاذة.

ولكن هناك شيئا آخر ، حقيقة أخرى . لقد تحدثت مابل عن نفسها كانسانة توشك أن تخرج من غياهب غابة ظلمة الى نور مدينة الاحلام . كانت تتوقع السعادة ، سعادة من نوع كله المتعة واللذة والسرور العميق المركز .

فاذا كان جيرارد انيسلى قد صدق فى قوله ان زوجته لم تأت الى غرفتها حتى بعد مرور نصف ساعة من وصوله هو الى غرفته . ومع ذلك فقد شهد دافيد كيلى أنه رآها تصعد الى الطابق الثانى عقب انصراف الجميع من غرفة الجلوس.

ان فى هذا الطابق الثانى ، غرفتين يقيم فيهما مدعوان آخران: هما المسز جراهام ، وابنها ، روجر جراهام .

وقد أنكرت المسز جراهام ان مابل تخلفت فى غرفتهـا للحديث معهـا ! .

لـم يبق اذن غير روجـر !

ولكن روجر يتبادل الحب مع مادج كيلى ، وسوف يعلنان خطبتهما قريبـا .

وفجأة تذكر المستر ساترويت الدخان الذى رآه ينساب من غرفة المسز جراهام ، وعجب من أمره . وتصرف بالغريزة والحافز المفاجىء . فأسرع الى غرفة المسز جراهام ، ووجدها خالية ، فأغلق الباب بالمفتاح من الداخل ، وأدار نظره فـى أنحاء الغرفة ، وحانت منه نظرة الى قاعدة المدفأة حيث وجد كومة الرماد التى تدل على أن أورقا كثيرة كانت تحرق فيها .

ولم ييأس ، وانما راح يعبث فى الرماد حتى عثر على قصاصات لم يتم احتراقها ، فتناولها برفق ، وقرأ فيها هذه العبارات المتناثرة :

« لا يمكن أن تصبح الحياة اجمل واروع مما نحن فيـه ياعزيزى روجر ... اننى لم أكن أعرف .. كل حياتى كانت كابوسا مرعبا حتى عرفتك يا روجر .. » .

« أظن أن جيرارد عرف كل شىء ، اننى آسفة . فماذا يمكننى أن أفعل ؟ ليس فى الدنيا شىء حقيقى غيرك . لسوف نسعد بالحياة معا قريبا ... » .

« ماذا تنوى أن تقول له فى قصر لايدل يا روجر ؟ انك تكتب بطريقة غامضة .. ولكنى لست خائفة » .

ووضع المستر ساترويت هذه القصاصات بعناية فـى

مظروف أخذه من منضدة الكتابة . ثم خطا نحو الباب وفتحه ، ليجد نفسه وجها لوجه أمام المسز جراهام .

وكان يعرف فى مثل هذه المواقف الحرجة ان الهجوم خير وسيلة للدفاع . ومن ثم قال :

ــ كنت أفتش غرفتك يامسز جراهام ، وقد عثرت على مجموعة من الرسائل لم تحترق تماما .

ولاح الفزع فى وجهها برهة خاطفة ، ولكنها لم تلبث أن استردت هدوءها ، فعاد ساترويت يقول :

ــ رسائل غرامية من مسز انيسلى الى ابنك روجر .

فترددت برهة ، ثم قالت :

ــ هذه حقيقة لا أستطيع انكارها . ولهــذا رايت ان من الافضل احراقهــا .

ــ لمــاذا ؟

ــ لأن ابنى سيتزوج قريبا ، وهذه الرسائل ، اذا عرف أمرها بعد انتحار المسكينة ، ستثير فضائح لا داعى لهــا .

ــ كان يمكن أن يتولى ابنك احراقها ؟

ولما لم تجب ، استغل ساترويت هذه الفرصــة واردف قائـــلا :

ــ انت قد عثرت على هذه الرسائل فى غرفته ، فحملتها الى غرفتك لاحراقها ، فلماذا يا مسز جراهام ؟ هل كنت خائفة من شىء ؟ ..

ــ اننى لم أتعود أن أخاف شيئا يا مستر ساترويت .

ــ نعم . ولكن هذه حالة خاصة تدعو الى الاضطراب والخوف .

ــ الاضطراب والخوف ؟

ـ نعم . الخوف من أن يلقى القبض على ابنك بتهمة القتـــل .

ـ القتـــــل ؟ ! ..

ورأى مدى امتقاع وجهها ، فأسرع يقول :

ـ لقد سمعت المسز انيسلى وهى تدخل غرفة ابنـــك الليلة الماضية ، ويبدو أنه أخبرها عن غرامه بماذج كيلـــى ورغبته فى الزواج بها ، فثارت عليه ، وحدثت بينهما مشـــادة عنيفـــة ..

ـ هـــذا كله كـــذب ..

وكان قائلها هو روجر جراهام بعد أن وصل اليهمـــــا دون أن يشـــعر به أحدهما .

ثم أردف قائـــلا :

ـ حسنا يا أماه . لا تقلقى . تعال الى غرفتى يا مستر ساترويت .ـــ

وتبع ساترويت الشاب الى غرفته ، ولم تحاول الام أن تمضى وراءهما ، وأغلق روجر باب الغرفة من الداخل ثـــــم قـــــال :

ـ اسمع يامستر ساترويت ، انك تظن أننى قتـــلت مابل . تظن أننى قتلتها هنا ، ثم حملتها بعد ذلك وعلقتهـــا فى باب غرفتها عندما استغرق الجميع فى النـــوم . اليـــس كذلك ؟ !

وحملق ساترويت فى وجهه مندهشا ثم قـــال :

ـ لا . أننى لا أظن هـــذا .

ـ حمدا لله . لاننى لم أكن لاستطيع قتل مابل . فقـــد كنت أحبها ، أو هكذا توهمت . فأنا فى الواقع لا أدرى هـــل

كان حبنـــا ام وهما . ولكننى اميل جدا الى مادج ، وكنتدائما اميل اليها . وهى فى الحقيقة خير زوجة . أما مابل فانهـــــا تختلف كثيرا . ولست أدرى ماذا أقول . انها سحرتنى وانـــا كنت أشعر بالخوف منها .

وأومأ ساترويت براسه ، بينما استطرد روجر قائلا :

ــ واردت أن أضع نهاية لعلاقتى بمابل ، وكنت أنـــوى ان احدثهـــا فى هذا الامر فى الليلة الماضية .

ــ ولكنك لم تفعل ؟

ــ لا ، لم افعل . وأقسم لك علـــى هذا . اننى لـــــم ارها بعد أن تبادلت معها تحية المســـاء فى الطابق الاول .

ــ اننى أصدقـــك .

ونهض وهو يؤكد لنفسه أن روجر ليس هو القاتل . لقد كان يود أن يفر منها ، لا أن يقتلها . لقد أدرك أخيرا أنه كان مفتونـــا مسحورا بها ، ولكنه قرر أن يتحرر من ربقـــه هذا السحر ، وان يلجأ الى مرفأ أمين . الى فتاة لطيفة هادئة متزنة مثل مادج .

وهبط ساترويت الى غرفة الجلوس ، فوجدها خالية ، ولكنه رأى قيثارة مابل موضوعة على النافذة ، فتناولها وراح يداعب أوتارها فى شرود ذهن ، ورغم انه لم يكن يجيـــد العزف على الآلات الوترية ، الا أن اذنه المرهفة أدركت وجود نغمة نشاز واضحة فى الوتر الغليظ الاول . وعبثا حـــاول أن يضبط هـــذا الوتر ، وفجأة أقبلت دوريس ونظرت اليـــه فى عتاب وهى تقول :

ــ اوه ، هذه قيثارة مابل المسكينة !

فقدمها ساترويت اليها وقال :

ــ هل يمكن أن تضبطي لي هذا الوتر ؟
ــ نعم . طبعـــا .

وتناولتها منه ، وما كادت تضغط على مفتاح ضبط الوتر حتى فوجئت به ينقطع فهتفت قائلة وهي تفحصه :

ــ عجبا ! ! انه ليس الوتر المفروض أن يوضع في هـــذا المكان . انه وتر من النوع « أ » وليس هذا موضعه . ولهذا انقطع حينما أردت أن أضبطه . ما أحمق بعض الناس !

ــ نعم . ما أشد حماقة بعض الناس حين يظنـــون أنهم عباقـــرة .

وكان في نبرات صوته ما جعـــل دوريس تنظر اليــــه في عجب وتساؤل . ولكنه تناول الوتر المقطوع منها ومضى به الى غرفة المكتبة ، حيث وجد المستر دافيد كيلي ، فقال لـــه وهو يقدمه اليه :

ــ هاك يا مستر كيلي .

فتناوله وافيد كيلي منه وقال :

ــ ما هـــذا ؟

ــ وتر مقطوع . ماذا فعلت بالوتر الاصـــلي يا مستر كيـــلي ؟

ــ الوتر الأصلي ؟

ــ نعم . الوتر الذي خنقت به مابل انيسلي . لقد كنت بارعا في ارتكاب هذه الجريمة ، أليس كذلك ؟ لقد ارتكبتهـــا بسرعة بالغة ، أي في الوقت الذي كنت أمضي فيه مع دوريس مادج الى السلم الآخـــر في نهاية الدهليز . أليس كذلك ؟ لقد عادت مابل الى غرفة الجلوس لتأخذ قيثارتها ، وكنت أنت قد انتزعت الوتر أثناء مداعبتك للأوتار بأصابعك ونحن ننصرف

من الغرفة . فلما دخلت الغرفة ، فاجأتها من الخلف ولففت الوتر حول عنقها ، وخنقتها به . ولاشك أن حشرجتها ضاعت فى رنين ضحكات دوريس ونحن فى الدهليز ، وبعد ذلك خرجت من الغرفة ورحت تطفىء الانوار حتى انضممت الينا . وفى سكون الليل ، فيما بعد عدت الى غرفة الجلوس ، وحملت جثتها ، وعلقتها فى باب غرفتها . ثم وضعت وترا آخر فى القيثارة ، ولكنك لم تفطن الى انك وضعت وترا مخالفا للوتر الاصلى . وهذه هى الهفوة التى كشفت أمرك .

ولما لم يجب دافيد كيلى بشىء ، أردف ساترويت قائلا :

— ولكن ، لماذا فعلت هذا ؟ لماذا ؟

وفجأة أرسل دافيد كيلى ضحكة عالية جوفاء رهيبة الرنين جعلت ساترويت يشعر بالغثيان ، ثم قال :

— لشد ما كان الامر بسيطا ! هذا هو السبب . وهناك سبب آخر ، هو أن الناس جميعا كانوا لا يلحظوننى . كانوا كانوا يحسبون أننى كم مهمل لاقيمة له . ولم يكن بينهم من يحاول ان يهتم بأمرى أو يعرف ماذا أفعل . وقد أردت أن أسخر منكم جميعا .

ومرة أخرى أرسل ضحكة رهيبة وهو يحملق فى وجه ساترويت بعينين يطل منهما الجنون .

وتنهد ساترويت فى ارتياح عندما رأى المفتش وتكفيلد يدخل الغرفة فى تلك اللحظة .

***

وبعد أربع وعشرين ساعة ، استيقظ المستر ساترويت من نومه فى مقصورته بمركبة النوم بالقطار الذاهب الى لندن ، ثم اذا هو يفاجأ برجل طويل نحيل ملوح البشرة يقف أمامه .

فتمتم قائلاً بــلا دهشــة !

ــ عزيزى المستر كوين ؟

ــ نعم . أننى هنا .

ــ أننى خجول من نفسى . لقد فشلت فى مهمتى .

ــ أحقــا فشلت ؟

ــ أننى لم أستطع انقاذها !

ــ ولكنك اكتشفت أمر القاتل .

ــ نعم . نعم . فقد كان من الممكن أن ينهم أحد الشبان من المدعوين بقتلها ، وبذلك أنقذت واحدا منهم من المــوت ظالمــا .. ولكن .. هذه المخلوقة العجيبة الساحرة ..

ــ هل الموت هو أسوأ شيء يمكن أن يحدث للانسان ؟

ــ أننى ،أننى لا أدرى . ربما لا .

ــ لو أنهــا عاشت ، ألم يكن من المحتمل ، أو المــؤكد أن تثير فضيحة تفســد بها حياتها ، وحياة زوجها ، وحياة مادج وروجــر جراهــام ؟

ــ نعم .. نعم .. ولكن ..

ورفع ساترويت عينيه ، واذا به لا يجد أثرا للمســتر كوين أمــامه ..

آخر الدنيا

كان المستر ساترويت ، رغم ثرائه الواسع ، من أولئك الذين يحبون مصاحبة الكبراء وذوى الالقاب الفخمةالضخمة أيا كانت عيوبها . فلا عجب اذا أحس بالرضا والبهجة حين طلبت منه الدوقة أوف ليث ان يصحبها فى رحلة صيفية الى جزيرة كورسيكا .

كانت سيدة فى مثل سنه ، ترتدى الملابس السوداء المرصعة بمجموعة الجواهر الضخمة التى ورثتها عن آبائها واجدادها . وكانت عادة تثبت هذه الجواهر فى ملابسها كما كانت تفعل أمها ، حتى أن بعض الظرفاء كانوا يتندرون عليها قائلين انها تعودت أن تقف فى وسط غرفتها وتترك خادمتها تقذف بالجواهر ذات المشابك عليها فتثبت كل قطعة كيفما اتفق !

وكانت حريصة فى انفاق المال ، فهى تطلب من أصدقائها دائما أن يعيروها سياراتهم ، أو يدعوها تركب معهم من مكان الى آخر ، كما تعودت أن تشترى جميع حاجياتها من الاماكن التى يسمح فيها بالمساومة فى الشراء .

ولكنها ، مع هذا الحرص ، كانت تتبرع بمبالغ طائلة للجمعيات الخيرية ، وتعامل مستأجرى أملاكها بالعدل والحسنى .

ولما كانت دائمة الشكوى من ارتفاع مستوى المعيشة فى شاطىء الريفييرا ، فقد قررت أن تمضى فترة مع المستر ساترويت فى جزيرة كورسيكا ، حيث يخفض مستوى المعيشة ، وحيث تكثر الاماكن الاثرية والسياحية الجديرة بالزيارة .

وفى بهو فندق متواضع بميناء أجاكيو ، جلست الدوقة مع المستر ساترويت عقب وصولهما بحرا الى الميناء . وبعد أن تناولا طعام افطار خفيف وشربا القهوة ، رفعت منظارها اليدوى الى عينيها ، وطافت بنظراتها على الجالسين فى البهو، ثم هتفت فجأة :

ـ عجبا عجبا ! لن أكون الدوقة أوف ليث اذا لم تكن هذه هى نوامى كارلتون سميث .

واشارت الى فتاة كانت جالسة بمفردها الى مائدة بجانب النافذة ، مرتدية ثوبا رخيصا قاتم اللون ، ويبدو شعرها الاسود متهدلا بغير عناية أو تصفيف . وسألها المستر ساترويت قائلا وهو يتأمل الفتاة :

ـ فنانة ؟

ـ نعم . او هكذا تقول عن نفسها . فأنا أعلم انها تعيش فى ركن عجيب من أركان العالم ، فقيرة ، معدمة ولكنها أشد كبرياء من ابليس ، وهى مغرورة بالوراثة مثل جميع آل كارلتون سميث . ان أمها كانت ابنة عمى مباشرة .

وبعد برهة من الصمت استطردت تقول عن نوامى :

ـ انها دائما عدوة نفسها فقد عقدت خطبتها الى شاب بغيض صعلوك يشتغل بتأليف المسرحيات ونظم الشعر وما الى هذا من الكلام الفارغ . وطبعا لم يجد من يشترى

انتاجه ، فسرق جواهر بعض الناس ، وقبض عليه ، ولا اذكر كم سنة صدر الحكم بحبسه . أظن خمسة أعوام . ولاشك انك تذكر هذه القضية ، فقد كانت فى الشتاء الماضى .

— فى الشتاء الماضى كنت فى مصر . فبعد نوبة برد عنيف، نصحنى الاطباء جميعا بتمضية الشتاء فى مصر .

وعادت الدوقة تحدق النظر فى وجه الفتاة بمنظارها من بعيد ، ثم قالت :

— يلوح لى أن هذه الفتاة فى حالة ضنك شديد ، وأنا لا أسمح بذلك .

ونهضت وسارت الى مائدة الفتاة ، ثم توقفت وربتت على كتفها وقالت :

— نوامى . يبدو أنك لاتذكريننى ؟

فوقفت الفتاة فى تراخ وقالت :

— أننى أذكرك يادوقة ، فقد رايتك وانت تنزلين بهذا الفندق ، وخطر لى أنك ربما لن تعرفينى .

وكانت تتحدث بصوت متراخ ممطوط . ولكن الدوقة تجاهلت هذه النبرات وقالت آمرة :

— عندما تفرغين من تناول طعامك ، تعالى الى غرفتى الشرفة .

وتثاءبت نوامى .

وبعد لحظات انضمت الى الدوقة والمستر ساترويت ، وتهالكت فى مقعدها بنفس الحركة المتراخية المستهترة ، وهنا أتيحت لساترويت فرصة تأمل وجهها . وقد قرر فى النهاية انه وجه أخطأه الجمال ، ولكنه ينم على ذكاء و .. شقاء ...

وقالت لها الدوقة بنشاط :
— حسنا يانوامى ! وماذا تفعلين الآن بنفسك ؟
— أوه . لا أدرى أتفرج على الدنيـــا فقط .
— أترســـمين ؟
— قليلا .
— فرجينى على رسومك .
وابتسمت نوامى فى استهتار للهجة الآمرة التى تتحدث بها الدوقة ولكنها غابت لحظات ، ثم عادت بمجموعةصغيرة من لوحاتها الحديثة ، وأخذت تعرضها على الدوقـــة وعلى المستر ساترويت وهى تقول للأولـــى :
— صارحينى برأيك فيها ، ولو أنى أعرف هـــذا الرأى مقدما .
وقالت الدوقة عن الصورة الاولى :
— أين أولها ، وأين آخرها ؟ أننى لا أعرف ان كانت فى وضع معتدل أم مقلوب .
وعن اللوحة الثانية قالت :
— ما أفظـــع هـــذا ؟
وقال المستر ساترويت :
— ان هذه اللوحة تثير الرعدة فى النفس !
فابتسمت الفتاة وقالت :
— هذا أبلغ ثناء عليها ، لان هذا هو المقصود فعلا .
وكانت اللوحة ترمز لمجموعة من الفواكه المعطنة تعبث فيها الديدان فسادا ، وكانت مرسومة ببراعة واتقان وموهبة فنية جعلت ساترويت يقول :
— مـــا ثمن هذه اللوحة ؟

— ان كل لوحة ثمنها خمسة جنيهات . يمكنك شراء ما يعجبك منها .

— اننى أريد هذه اللوحة بالذات .

— أحسنت الاختيار . فهى أفضلها جميعا

وكانت فى هذه المرة تتحدث اليه بصوت ينم على التقدير والاحترام بعد ان أدركت مدى ما يتمتع به من ذوق فنى . أما هو فقال :

— أؤكد لك ان هـــذه اللوحـــة بعد سنوات معدودة ستساوى ثروة كاملة اذا خطر لى ان أبيعها .

ونظرت الفتاة اليـــه طويلا وقـــد بـــدا من نظراتها ان احترامها له قد تضاعف .

وقالت الدوقة :

— لن يستطيع أحد أن يقنعنى ان هذه الطريقة فى الرسم نوع من الفن بأى حال . حسنا ، اننى سأمكث هنا بضعة أيام فقط ، وأحب ان استمتع بمشاهد الجزيرة . ان لديك سيارة يانوامى ، اليس كذلك ؟

— نعم

— عظيم جدا . غدا نقوم فى سيارتك برحلة الى الجبال

— انها سيارة صغيرة ذات مقعدين فقط .

— ولو . لابد ان لها مقعدا صغيرا خلفيـــا يمكن للمستر ساترويت أن يجلس فيه .

وارتعد ساترويت وهـــو يتذكر طرق الجزيرة الجبلية الخطيرة ، ولكن الفتاة أسرعت تقول :

— انها سيارة مستعملة قديمة لا يمكن أن تتحمل ثلاثة

أشخاص فى طريق جبلى صاعد . يمكنك يادوقة ان تستأجرى سيارة من جراج بالمدينة .

ــ ابستأجر سيارة ؟ ! يا للفضيحة !! ترى من ذلك السيد ذو الوجه الاصفر الجالس هناك ، والذى أقبل الآن فى سيارة بأربعة مقاعد ؟

ــ انه المستر توملينسون ، قاض هندي متقاعد

ــ هذا هو سر صفرة بشرته . ولكن يبدو انه انسان لطيف مهذب . لسوف أتحدث معه .

وفى المساء وجد ساترويت الدوقة ، فى ثوب من المخمل الاسود ، المرصع بجميع جواهرها ، تتبادل الحديث فى اهتمام مع صاحب السيارة ذات المقاعد الاربعة فى بهو الفندق ولما لمحته ، اشارت اليه تدعوه قائلة :

ــ تعال يا مستر ساترويت . ان المستر توملينسون يحدثنى عن اعجب الاشياء ، وفوق هذا ، فقد تطوع ليصحبنا فى رحلة جبلية غدا بسيارته .

ونظر ساترويت اليها فى اعجاب شديد ، بينما أردفت هي قائلة :

ــ هلم الى طعام العشاء يا مستر ساترويت ، ويمكن للمستر مالينسون ان يجلس الى مائدتنا ويستطرد فى أحاديثه المتعة عن عجائب الهند

وأخيرا ، بعد العشاء ، وبعد انصراف المستر توملينسون قالت الدوقة :

ــ انه رجل لطيف مهذب .

ــ ويمتلك سيارة لطيفة مهذبة !

ــ يا خبيث ! !

وضربته بطرف مروحتها على يده مداعبة ، ثم اردفت قائلة :

ـ وسوف تأتى نوامى أيضا ، فى سيارتها . ان هـذه الفتاة تحتاج الي من يأخذ بيدها ليخرجها من نطاق نفسها . انها انانية جدا ، لا تهتم بأحد ، ولا يهمها الا نفسها

ـ انني أري الامر على النقيض ، اذ يخيـل لي انها شديدة الاهتمام بشي معين ، ولكنها تقف عاجزة ، لا تدري ماذا تفعل ، لهذا فهى تسلك سلوك الأنسان اليائس .

ـ أوه . لا تكن أحمق يا ساترويت . دعك من الفتاة ، وانصت الى بشأن ترتيبات رحلة الغد .

وانصت ساترويت ، لان الانصات كان الطابع الواضح في حياته .

وبداوا الرحلة فى صباح اليوم التالى ومعهم طعام الغذاء وأخذت نوامى على عاتقها ان تكون الرائدة والمرشدة لانهـا لمضت فى الجزيرة بضعة اشهر .

وذهب المستر ساترويت اليها وهى جالسة فى سيارتها تنتظر وقال لها :

ـ هل انت واثقة بأنك لا تستطيعين أن تسمحى لى بالركوب معك ؟

ـ انك ستكون أكثر راحة فى السـيارة الاخرى ذات المقاعد الوثيرة القوية ، أما سيارتى هذه ، فان من الخطـر ركوبها فى طريق جبلى وعر

ـ ولكن اذا كنت ستركبينها ، فلماذا لا أركبها معك ؟

فنظرت اليه بامعان وقالت :

ـ ولماذا تركب معى ؟

هل يقول لها لانه يرى من تصرفاتها ، ومن اهمالهـــا لنفسها ، ومن نظرات عينيها انها تفكر فى الانتحار ، وانها قد تنتهز فرصة هذه الرحلة لتنتحر بطريقة تبدو للجميع انهـــا مجرد حادث وقع بالقضاء والقدر ؟

لا . انه لايستطيع أن يصارحها بهذا ، لانه قد يكـــون مخطئا فى تصوراته .

ولما رأى ان الموقف سيتحرج ، قال :

ــ حسنا ، ربما تسمحين لى بالركوب معك فى رحلـــة العودة .

وهنا ارسلت ضحكة عجيبة النبرات ، وقالت :

ــ نعم .. نعم .فى رحلة العودة ، اذا شاء لنا القـــدر ان نعـــود ..

وبدات الرحلة . وانطلقت سيارة نوآمى فى المقدمة ، سريعة كالطائر ، وظلت السيارة الثانية تتبعها فى الطريـــق الجبلى الصاعد دائما ، وكان الهواء يزداد برودة كلما امعنوا فى الصعود حتى أصبح يهب عليهم قاطعا ، كحد السكين ، وفجأة أوقفت نوامى السيارة ونظرت وراءها ، ثم قالت :

ــ لقد وصلنا الى آخر الدنيا . واعتقد ان الجو سوف يضطرب بعد قليل .

وهبط الجميع بالقرب من قرية فى قمة الجبل ، مكونة من عشرة اكواخ حجرية . فى مدخلها لافتة مكتوب عليها (كوتى تشيافيرى) ولكن نوامى قالت :

ــ هذا هـــو اسمها الرسمى ، ولكنها تسمى بقريـــة « آخر الدنيا » .

وسارت خطوات قليلة حتى انضم اليها ساتروينت ثـــم

توقفت امام حاجز جبلى ضخم وقالت :

ـ هذا هو نهاية الطريق الوحيــد فى القرية . وليس بعده شىء اى اننا الآن فى بداية ما لا تعرف نهايته . فالانسان فى اى مكان فى الدنيا يستطيع ان يختار الاتجاه الذى يواصل المسير فيه ، يمينا، او يسارا ، او اماما . ولكن الانســان فى هذا الموضع لا يستطيع الا أن يعود ادراجه ، ولهذا سماه الاهالى ، آخر الدنيا !

وتنفس المستر ساترويت بعمق وقال :

ـ هذا مكان عجيب فعلا ، يمكن أن يحدث فيه اى شىء ، أو يلتقى فيه بأى شخص ..

وتوقف عن الحديث فجأة حين لمح رجلا يجلس عــلى صخرة ناتئة ينظر الى ناحية البحر الذى يبدو بعيدا . ولم يكن أحدهما قد رآه من قبل فى تلك اللحظة وكأنها هو قد انبثق فجأة من المناظر المحيطة بها .

وقبل أن يقول المستر ساترويت شيئا ، اذا بالرجــل يستدير نحوه ، واذا هو يقول :

ـ عجبا ! انه المستر كوين . دعينى يامس كارلتون سميث اقدم اليك المستر كوين . انه أعجب شخصية عرفتها اليس كذلك يا مستر كــوين ؟ انك دائمــا تظهر فى الوقت المناسب .

وتوقف فجاة وقد شعر انه يتحدث بعبارات لا معنى لها، هذا بينما كانت نوامى تصافح المستر كوين وتقول له :

ـ اننا هنا فى نزهة جبلية ، ولكن يبدو اننا سنموت جميعا متجمدين من البرد والثلج .

وقال المستر ساترويت وهو يرتعد :

— ربما نستطيع ان نجد مكانا نحتمى بــه . ان المس كارلتون سميث تسمى هذا المكان آخر الدنيا .

— نعم . انه اسم ينطبق عليه فعلا . أهذه سيارتك يامس كارلتون سميث ؟

— نعم . انها كما ترى صغيرة وعتيقة !

— ان قيادتها تحتاج الى براعة خاصة ، فان أقل خطأ فى الانحراف ، أو فى استجابة الفرامل يؤدى الى انقلابها فى احدى الهاويات .

ولمــا انضموا الى الدوقة والقاضى الهندى ، قدم المستر ساترويت صديقه اليهما ، ثم انفردت به المس كارلتون سميث وقالت له فى حدة :

— من هذا الرجل ؟

— اننى شخصيا لا أدرى تماما ، لقد عرفته منذ أعوام . ونحن نلتقى مصادفة بين الحين والآخر ، وفى ظروف عجيبة

— ولكنه من الذين يعرفون الاسرار التى تنطوى عليها النفوس . هذا ما يبدو بوضوح ، فان نظراته نفاذة ..

— نعم . نعم . ان الانسان لا يسعه يامس كارلتون سميث الا ان يخاف من نظراته .

وفى تلك اللحظة سقطت من الجو ندفة من الثلج على وجهه ، ثم اذا الجليد يتساقط فى سرعــة وغــزارة جعلت الجميع يرحبون باقتراح المستر كوين حين قال انه يعرف كوخا حجريا فى نهاية المنازل ، مخصصا لايواء السائحين الــذين يفاجئهم الجو بتقلباته . وفى أثناء الطريق اليه ، قال

— المعتاد ان يكون لدى السائح مئونته من الطعام هنا

هو الشأن معكم ، ولكن صاحبة الكوخ تقدم للضيوف القهوة نظير اجر بسيط .
وكان الكوخ مكونا من غرفة متوسطة الحجم ، لها نافذة صغيرة فى جانب منها ، وفى الجانب الآخر مدفأة ضخمة تشع منها حرارة النيران . وكان ثمة امرأة كرسيكية تغذى هذه النيران بحزم من الحطب الجاف .
وفى نهاية الغرفة ، أمام طاولة خشبية ، كان ثمة ثلاثة أشخاص من السياح يحتمون أيضا بالكوخ من الصقيع المنهمر كانوا رجلين وسيدة ، سيدة بدت كأنها دوقة حقيقية ، أو نموذج للمَثلة الاولى فى مسرح عريق . طويلة القامة ، بلاتينية الشعر ، أنيقة الملابس ، رائعة السلوك . كانت كانت تعتمد بذقنها على يدها ، وتمسك بالاخرى شطيرة مستطيلة . وعلى جانبها الأيسر جلس رجل ناصع بياض الوجه ، رمادى الشعر ، يرتدى ملابسه السوداء بأناقة وجه ، ويضع على عينيه نظارة ذات اطار سميك . وعلى جانبها الايسر جلس رجل صغير الجسم ، خفيف الظل ، أصلع الراس ، لا يكاد يثير انتباه أحد .
ومرت لحظات من الحرج ، ولكن الدوقة ، الدوقة الاصلية ، بدأت الهجوم بقولها وهى تتقدم لتجلس الى الطاولة الخشبية :
— يالها من عاصفة ثلجية رهيبة ! لاشك أنها فاجأتكم مثلنا . ولكن كورسيكا على اى حال جزيرة جميلة ، لقد وصلت اليها أمس .
نهض الرجل الانيق الطويل فى احترام ، وجلست الدوقة فى مقعده شاكرة ، بينما قالت السيدة ذات الشعر البلاتينى .

ـ اننا هنا منذ اسبوع !

وكتم ساترويت أنفاسه دهشة حين سمع السيدة وهي تنطق هذه العبارة البسيطة . لقد كان فى نبرات صوتها ، وفى طريقة القائها ، ماجعل الكلمات تنبض بالحياة ، وبالسحر، وبالجاذبية ، وكأنما هى لا تتحدث بلسانها فقط ، وانما من صميم قلبها .

واسرع ساترويت يقول للقاضى الهندى المستر توملينسون :

ـ ان الرجل الانيق ذا النظارة مخرج .. كما تعلم .. اسمه المستر فايز .

ـ ماذا يخرج ؟

ـ مسرحيات

وفجأة قالت نوامى كارلتون سميث بصوت حاد عنيف :

ـ ان الجو هنا خانق ، سأخرج الى الهواء الطلق رغم البرد والصقيع .

ولكن المستر كوين اعترض طريقها عند الباب وقال لها بهدوء وحزم :

ـ عودى الى مكانك واجلسى

وفوجىء المستر ساترويت بالفتاة تستكين للامر ، ثم تجلس الى طرف المنضدة فى معزل عن الاخرين .

وتقدم الى المخرج ، وجلس امامه وقال :

ـ لعلك لا تذكرنى يامستر فايز . ان اسمى ساترويت

فمد المستر فايز يده وصافح ساترويت بقوة وقال :

— طبعا طبعا يا عزيزى . من كان يظن اننا سنلتقى هنا؟ لاشك انك تعرف المس نان !

ودهش ساتريت . المس نان ! الممثلة القديرة المعروفة؟ لاعجب اذن أن تكون رائعة الصوت ، بارعة الالقاء . اليست روزينا نان أشهر ممثلة فى انجلترا ؟

وعاد المستر فايز يقول وهو يقدم الرجل الآخر، الجالس على يسارها :

— المستر جود ، زوج المس نان

وكانت روزينا نان قد تزوجت كثيرا . ولاشك ان هذا المستر جود هو الزوج الاخير .

وكان الزوج مهتما بتقديم الطعام الى زوجته فى عناية وشغف ذلك أن المعروف أن المس نان من اللواتى يشغفن بالطعام ، وفى هذا قال فايز :

— انها تهيم بألوان الطعام . بل انها تعيش فقط لتأكل اننى فى أحيان كثيرة أذكر لها لونا محببا من الطعام قبيل قيامها بدور معين ، فاذا هى تقوم بالدور كأروع ماتكون .

وسمع الرجلان المس نان وهى تقول لزوجها :

— ولكن أين الكافيار ؟ اننى لم أره منذ دخلنا هنا

— انك توشكين على الجلوس فوقه . فانه وراءك على المقعد !

فتناولته بسرعة فى ابتهاج وهى تقول :

— أوه . انك تعرف ياعزيزى اننى كثيرة النسيان والشرود . اننى قلما أعرف أين وضعت أشيائى !

— نعم . كما وضعت ذات يوم مجموعة لآلئك فى كيس اسفنجة الحمام . وما أكثر البرقيات والمكالمات التليفونية

التى تبادلتها مع الفندق حتى استرددناها .

فقال المس نانَ بصوت حالمٍ :

ــ على كل حال كانت هذه اللآلىء مؤمنا عليها . ولكن جوهرتى الاوبال الزمردية لم أؤمن عليها للاسف .

وفجأة أحس المستر ساترويت انه ، مرة أخرى ، يعيش فى احدى مسرحيات الحياة ، وانه ، مع المستر كوين ، يقومان بدورهما فيها . ومن ثم شعر أن كلمة « الاوبال » هى مفتاح دوره ، فاندفع الى الامام وقال :

ــ جوهرتك الاوبال يامس نان ؟

ــ هل أعددت الزبـــد ياهنرى ؟ آه . نم . جوهرتى الاوبال . لقد سرقت منى كما تعلم . ولم استردها بعد .

ــ أوه . حدثينا بهذا الموضوع يامس نان

آه . نعم . لقد ولدت فى شهر أكتوبر ، ولهذا فان من الفال الحسن ان اتزين بجواهر الاوبال . ومن ثم اشتريت جوهرة مفرطحة على شكل القلب من اندر الانواع وأصفاها . ولشد ماكانت بهجتى حين استطعت ان أظفر بها بعد الصبر الطويل .

وتنهدت فى عمق ، وكان الجميع ينصتون اليها مبهورين بالقائها وجمال نبرات صوتها . وبعد برهة من الصمت ، أردفت تقول :

ــ وسرق هذه الجوهرة النادرة منى شاب يدعى اليك جيرارد ، كان يكتب الروايات المسرحية .

فقال المستر فايز :

ــ وهى روايات جيدة فعـــلا . وقـــد كدت أن أخرج احداها قبل الحادث .

وقالت المس نان :

— نعم . كان فيها دور رائع لى . وكان اسمها «أولاد راشيل» . وقد جاء الى غرفتى بالمسرح ليتبادل معى الحديث بشأنها . وكان شابا لطيفا خجولا وسيم الوجه ، فى عينيه نظرات شاردة تنم على روح شاعرية وخيال واسع . مسكين وكانت الجوهرة موضوعة فى علبتها على منضدة الزينة . وكان هو خبيرا فى هذا النوع من الجواهر ، لانه سافر ذات يوم الى استراليا . ومن ثم تناولها وفحصها فى الضوء ، ويبدو أنه نسى نفسه ووضعها فى جيبه . ولما انصرف، ولم أجدها ، أبلغت رجال البوليس ، وكان لهذا الحادث ضجة كبيرة فى مختلف الصحف . حتى ان المستر فايز قال ان هذا الحادث كان أوسع دعاية مجانية حدثت لى !

وقال فايز :

— نعم . نعم . كان دعاية رائعة .

— ووجدت علبة الجوهرة فارغة فى مسكنه وثبت أنه كان يعانى أزمة مالية عنيفة ، ومع ذلك فقد ثبت أيضا أنه وضع لحسابه فى البنك مبلغا كبيرا وقد زعم هو أنه لابد قد وضع العلبة فى جيبه سهوا ، وأن صديقا لعب على جواد رابح لحسابه ووضع الارباح فى رصيده بالبنك . ولكنه لم يستطع أن يذكر اسم هذا الصديق ، أو أن يدلى بمحل اقامته . وهكذا صدر الحكم عليه بالسجن خمسة أعوام ، أمضى منها الآن ثمانية أشهر .

وبعد أن ساد الصمت برهة وجيزة ، قالت المس نان فجأة :

— اين علبة الخوخ المحفوظ ياهنرى ؟

فقال زوجها هنرى جود ؟
ــ انها فى حقيبة حاجياتك .
وتناولت الممثلة الكبيرة حقيبة حاجياتها وراحت تفرغ مافيها من الوان واصناف حتى عثرت على علبة الخوخ المحفوظ وكان بين الاشياء التى افرغتها من الحقيبة على الطاولة صندوق هندى مسحور ، قالت عنه حينما تناوله القاضى الهندى المستر توملينسون وراح يفحصه :
ــ هذا صندوق من النوع المسحور . من أين جئت به يا مس نان ؟
ــ هدية من احد المعجبين ! وانا اضعه دائما على منضدة الزينة فى غرفتى بالمسرح رغم انه ليس رائع الشكل
فضحك المستر توملينسون وقال :
ــ ربما لا يكون جميلا ، ولكننى أراهن انك لا تعرفين سره . هل تحبين ان أطلعك على طريقته السرية ؟
وقال الجميع :
ــ نعم . نعم . نريد أن نرى
وكان للصندوق فى أعلاه مفتاحان صغيران كأنهما حليتان . فضغط المستر توملينسون على أحد المفتاحين ، فانفتح الصندوق ، ثم طلب من أحد الحاضرين أن يضع قطعة جبن من النوع المغلف فيه . ثم اغلق الصندوق ، وضغط على المفتاح الآخر ، ثم عاد وفتح الصندوق ، واذا قطعة الجبن تختفى .
وسرت همهمة الدهشة من الجميع ، ولكن المستر توملينسون أغلق الصندوق مرة أخرى ، ثم جعله فى وضع مقلوب ، وضغط على مفتاح آخر جانبى يشبه حلية منقوشة ،

ثم اعاده الي وضعه الصحيح وفتحه
وشهق الجميع
لقد رأوا مع قطعة الجبن ، جوهرة من حجر الاويال الازرق مفرطحة علي هيئة القلب . وصاحت المس نان في دهشة :
— جوهرتي الغالية .. يا الهي ! يا للهول !
وتنحنح زوجها هنرى جود وقال بصوت مضطرب :
— لاشك انك وضعتها في الصندوق السحرى سهوا ، وضغطت على المفتاح الثاني فاختفت دون أن تعلمي
— نعم . نعم . لاشك في هذا . ولكن المهم أن الشاب اليك جيرارد لم يسرقها ، اى انه مسجون الان ظلما .
وهنا نهضت نوامى كارلتون سميث ، وقالت بصوت شاحب :
— اتعرفين من يكون اليك جيرارد بالنسبة لى ! انه خطيبي ، وحبى ، وقلبى ، وقد كدت من فرط اليأس ان انتحر اكثر من مرة
قالت هذا واندفعت الى خارج الكوخ باكية ، فلحق بها المستر كوين والمستر ساترويت ، وكانت العاصفة الثلجية قد هدأت ، وانقطع سقوط ندف الجليد .
وقال المستر كوين وهو ينظر الى السماء الصافية :
— حسنا . اعتقد انه ينبغى لى ان انصرف الآن !
فنظرت نوامى اليه فى دهشة وقالت :
— ولكن . ماذا عن خطيبى جيرارد ؟
— لا شك أنه سيطلق سراحه بالتلغراف اليوم وه..
— وماذا ؟

ـ ولاشك ان المس نان ستعرف كيف تعوضه أدبيا وماديا .

ولما تحرك بعيدا ، قال المستر ساتروويت :

ـ الى اين هو ذاهب ؟

فقالت نوامى بصوت غريب :

ـ من حيث جاء على ما اظن !

ـ ولكن ليس هناك طريق مفتوح . لقد قلت بنفسك اننا فى آخر الدنيا .

وهزت نوامى كتفيها ، فقال لها ساترتويت :

ـ والآن . هل ستسمحين لى بالركوب معك فى رحلة العودة ؟

وهنا ، ولاول مرة ، اشرق وجهها سرورا وابتهاجا وقالت :

ـ طبعا ، طبعا . فانا الآن واثقة باننا سنصل الى الفندق بلا احداث مفاجئة فى الطريق .

العاشقان

كانت الصداقة بين الرجلين غريبة ، فالكولونيل رجل ريفي بسيط . هوايته الوحيدة في الحياة هي الرياضة .. والاسابيع القليلة التي يقيمها في لندن ، كان يقضيها هناك على كره منه . أما مستر ساترتويت ، فكان رجلا حضريا من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، وحجة في الطهو على الطريقة الفرنسية ، وخبيرا بأزياء النساء ، ومن أعلم الناس بفضائح المجتمع .. وهوايته ملاحظة طبائع البشر ، والوقوف مما يجري على مسرح الحياة موقف المتفرج .

ومن هذا يتبين أنه لم تكن هناك أية صفة مشتركة يمكن أن تجمع بين الرجلين ، لان الكولونيل لم يكن يهتم بأمور الاخرين . ولكن أواصر الصداقة توثقت بينهما أصلا . لان والديهما كانا صديقين . ولانهما يعرفان نفس الاشخاص . ويشعران بنفس الاحاسيس حيال أغنياء الحرب .

كانت الساعة السابعة والنصف تقريبا ، وكان الرجلان يجلسان في مكتب الكولونيل ميلروز . وقد راح هذا الاخير يصف رحلات الصيد التي قام بها في الشتاء المنصرم ، وأخذ ساترتويت يصغي اليه في أدب رغم أن معرفته بالجياد لم تكن تتجاوز زيارة حظائرها في بعض القصور الريفية القديمة التي لا تزال تحتفظ بحظائر للجياد .

وفجأة رن جرس التليفون ، فنهض الكولونيل من مقعده ، واقترب من المكتب وتناول السماعة ، وهتف :

ــ آلو .. نعم ، أنا الكولونيل ميلروز .. ماذا حدث ؟
وتغيرت سحنته على الفور ، وتصلبت عضلات وجهه .
وبدأ يتكلم بلهجة مدير الشرطة .. لا بلهجة الرجل الرياضي .
ــ حسنا يا كرتس .. سأحضر فورا .
ووضع السماعة ، وتحول الى ضيفه وقال :
ــ لقد وجد السير جيمس دوايتون مقتولا فى مكتبه .
فهتف ساترتويت وقد أثاره النبأ :
ــ ماذا ؟
ــ يجب أن أذهب الي (الدرواي) فى الحال .. هل تود مرافقتي ؟
فقال ساترتويت بعد تردد قصير :
ــ اذا لم يكن فى ذلك مضايقة لك .
ــ كلا .. ليس ثمة مضايقة .. الذى حدثنى الآن هو المفتش كيرتس .. انه رجل أمين ومخلص . ولكنه يفتقر الى الذكاء . سيكون من بواعث سروري أن تأتى معى يا ساترتويت .. فاننى أشعر بأن أمامنا جريمة بالغة التعقيد .
ــ هل قبضوا على القاتل ؟
فأجاب الكولونيل فى ايجاز :
ــ كلا ...
وأدرك ساترتويت بحسه المرهف أن هذا الجواب الموجز يخالطه شيء من التحفظ ، فبدا يسترجع فى ذهنه معلوماته عن آل دوايتون ..
كان يعلم أن السير جيمس دوايتون رجل متقدم فى السن، يناهز الستين من عمره ، متعجرف . حاد الطباع .. شحيح الى أقصى حد .. وهي صفات خليقة بأن تجلب له عـــداوة الكثيرين ..

وانتقلت أفكاره الى الليدى دوايتون .. فتخيلها كما رآها ، امرأة فى مقتبل العمر ، ممشوقة القوام ، على جانب كبير من الجمال .. وتذكر الشائعات الغريبة المختلفة التى تلوكها الالسن عنها ..

— لابد ان الكولونيل ميلروز قد سمع هذه الشائعات ، ولعل ذلك هو سبب وجومه وتحفظه .

وبعد نحو خمس دقائق ، كان ساترتويت يجلس بجوار الكولونيل فى سيارة هذا الاخير ..

وتحركت السيارة ، وبدأت رحلتها فى ظلام الليل ..

وكان الكولونيل رجلا صموتا ، وقد قطعت السيارة نحو ثلاثة كيلومترات قبل ان يتكلم ..

قال فجأة :

— انت تعرفهما طبعا .

— تعنى دوايتون وزوجته ؟ اننى أعرف كل شىء عنهما .

والواقع انه لم يكن هناك انسان لا يعرف ساترتويت كل شىء عنه

استطرد قائلا :

— اننى قابلته مرة ، وقابلتها مرارا .

— انها امرأة جميلة .

— بل انها فاتنة

— اتظن ذلك ؟

فقال ساترتويت :

— انها من طراز نساء عصر النهضة .. ولقد رأيتها فى حفل خيرى فى الربيع الماضى ، كانت تمثل دورا فى مسرحية ، فبهرتنى .

انها تختلف تماما عن نساء هذا العصر ، وقد ذكرتنى

بالحسناوات فى قصور دوقات البندقية ، بل لقد ذكرتنى بلوكويس بورجيا

وهنا انحرفت السيارة فجأة ، فاعتدل ساترتويت فى مقعده .. وأدهشه أنه فكر فى لوكريس بورجيا ، ونطق باسمها ، وسأل :

ــ هل مات دوايتون مسموما ؟

فنظر اليه الكولونيل من ركن عينه بشىء من الدهشة والفضول وقال :

ــ لماذا ألقيت هذا السؤال ؟

ــ لا أعلم ، انه مجرد سؤال .

ــ كلا ،، انه لم يمت مسموما ،، وانما أصيب بضربة فى الرأس

ــ بآلة حادة ؟

ــ لا تتكلم كرجل البوليس فى القصص ، لقد أهوى بعضهم على رأسه بتمثال من البرونز .

ولاذ ساترتويت بالصمت .

فقال الكولونيل بعد صمت قصير :

ــ هل تعرف شيئا عن شاب يدعى بول ديلانجوا ؟

ــ نعم .. انه شاب وسيم جدا ..

ــ أظن أن هذا ما تقوله النساء عنه .

ــ الا تحبه ؟

ــ كلا .

ــ ظننتك تحبه ، فانه يجيد ركوب الخيل ..

ــ نعم كأى مهرج أجنبى ..

فأشاح ساترتويت بوجهه ، ليخفى الابتسامة التى ارتسمت على شفتيه ..

كان يعرف عن ميلروز أنه بريطانى قح ..
سأل :
ــ وماذا جاء به الى هذه المنطقة ؟
فأجاب الكولونيل :
ــ انه نزل ضيفا على آل دوايتون .. ويقال ان السير جيمس طرده منذ نحو أسبوع .
ــ لماذا ؟
ــ اظن أنه اكتشف أنه يغازل زوجته ... ما هذا بحق الشيطان ؟؟
وانحرفت السيارة بعنف ، واصطدمت بشيء .
قال الكولونيل :
ــ ما أكثر المنحنيات الخطرة فى طرق هذه البلاد ..
ولكن كان ينبغى على هذا الرجل ان يستخدم بوق سيارته .. فنحن نسير فى الطريق الرئيسى وهو قادم من طريق جانبى .. على كل حال اعتقد اننا أعطيناه اكثر مما أعطينا .
قال ذلك وغادر السيارة ، وفى نفس اللحظة ، غادر السيارة الاخرى رجل آخر لم يتبين ساترتويت وجهه ، ولكنه سمعه يقول :
ــ انا المخطىء .. والواقع أننى لا أعرف هذه المنطقة جيدا .. ولا توجد هنا اية علامة تشير الى وجود طريق رئيسى .
فقبل الكولونيل اعتذار الرجل ودار معه حول سيارته [illegible] ها من تلف ، وكان برفقة الرجل سائق راح [illegible] السيارة ، ودار بين الثلاثة حديث فنى انتهى بأن قال الرجل :
ــ اظن أن اصلاح العطب لن يستغرق اقل من نصف

ســـاعة .. ولكن لا ينبغى أن يعيقـــك ذلك عن مواصـــلة رحلتك .. ويسرنى أن سيارتك لم تصب بتلف يذكر .

فقال الكولونيل :

ــ الحقيقة أن ..

ولكنه لم يتم عبارته .. فقـــد رأى ساترتويت يثب من مكانه فى السيارة ويقبـــل نحوه مسرعا ويتنـــاول يد الرجل ويشـد عليها بحرارة وهو يقول بانفعال واضح :

ــ لقد عرفتك من صوتك .. يا لهـــا من مصـــادفة عجيبة ..

ثم التفت الى الكولونيل وقال :

ــ هذا مستر هارلى كوين الذى طالمـــا حدثتـــك عنـــه يا ميلروز .

ولم يتذكر الكولونيل أن ســـــاترتويت حدثه عن هارلى كوين .. ولكنه أومأ برأسه فى أدب .

قال ساترتويت :

ــ أظن أنه لا ينبغى أن نتركك هنـــا على قارعة الطريق .. تعال معنـــا .. ان فى السيارة متسعا لك .. أليس كذلك يا ميلروز ؟

فأجاب الكولونيل بشىء من الفتور .

ــ نعم .. ولكن هل نسيت مهمتنا يا ساترتويت ؟

فجمد ساترتويت فى مكانه لحظة ، ثم لمعت عينـــــاه ، وتواثبت الى ذهنه آلاف الخواطر ، وهتف قائلا ؟

ــ كلا كان يجب أن أعلم هـــذا .. كان يجب أن أعلم أن لقاءنا هنا الليلة على مفترق الطرق ليس وليد المصادفات .

فنظر الكولونيل الى صديقه فى دهشة ، وأمســـك هذا بمساعده وقال :

ــ هل تذكر ما حدثتك به عن صديقنا ديريك كابيل وعن سبب انتحاره الذى لم يفطن اليه أحد ؟ ان مستر كوين هو الذى حل هذا اللغز ، ثم حل ألغازا كثيرة أخرى بعد ذلك . انه يرشدك الى أشياء موجودة فعلا ولكنك لا تراها . . الحق انه مدهش .

فقال مستر كوين وهو يبتسم :

ــ انك تخجل تواضعى يا عزيزى ساترتويت ، وعلى قدر ما أذكر ، فانك أنت الذى حللت تلك الالغاز لا أنا .

ــ انها حلت ، لانك كنت موجودا .

فسعل الكولونيل وقال :

ــ أظن اننا لا يجب أن نضيع من الوقت أكثر مما أضعنا . . هلما بنا .

قال ذلك وجلس أمام عجلة القيادة .

كان يشعر بالامتعاض من وجود هذا الغريب الذى فرضته عليه حماسة ساترتويت . ولكن لم يكن بوسعه أن يجد سببا وجيها للامتعاض فضلا عن أنه كان يريد الوصول الى (الدرواى) بأسرع ما يستطيع .

وجاس مستر كوين بين ساترتويت والكولونيل ، وقال هذا الاخير فى محاولة لاخفاء امتعاضه .

ــ اذن فالجرائم تثير اهتمامك يا مستر كوين ؟

فأجاب كوين :

ــ كلا . . اننى لا أهتم بالجرائم ذاتها .

ــ بماذا اذن ؟

ــ فابتسم كوين وقال :

ــ دعنا نســـأل مستر ساترتويت .. فانه فطن وقوى الملاحظة .

فقال ساترتويت ببطء :

ــ أظن ، وقد أكون مخطئـــا ، ان ما يهم مستر كـــوين هم العشاق .

وعلى الرغم من أنه نطق بكلمة (العشاق) كما لو كان يضعها بين قوسين ، فقد احمر وجهه خجلا ..

وقال الكولونيل :

ــ أحقـــا ؟

ونظر الى مستر كوين من ركن عينيـــه .. ووجـــده شابا عاديا ، أسمر البشرة قليلا .. ولكنه ليس أجنبيا بحال .

وقال ساترتويت يحدث كوين :

ــ والآن .. يجب أن أحدثك عن القضـــية التى نحـــن بصـــددها ..

وتكلم طوال عشر دقائق .. وتملكته نشوة الاحساس بالقوة ..

صحيح أنه كان يقف من الحيـــاة موقف المتفرج . ولكنه كان لبقا ذلق اللسان ، فاستطاع أن يرسم صورة رائعـــة للورا دوايتون بشـــعرها الاحمر وعينيها الفاتنتين .. وبول ديلانجوا الوسيم معبود النساء ، ومن ورائهما قصر الدرواى العتيد .. الذى يرجع تاريخه الى عهد الملك هنرى السابع .

وفى عبارات موجزة ، رسم صورة أخرى للسير جيمس دوايتون وأسرته التى ظلت طوال عـــدة قرون تمتص دماء المزارعين ، وتملأ خزائنها بالمـــال ، حتى لا يعرف أفرادها وذراريها معنى الحاجة مهما ساءت الاحوال .

ثم صمت ..

كان واثقاً من أنه أحسن أداء المهمة ، وأثار اهتمام السامعين ..

صمت وانتظر كلمة ثناء ، وجاء الثناء على لسان مستر كوين .

قال :

ـ أنت فنان يا مستر ساترتويت .

* * *

ووقفت السيارة بباب القصر ، وهرول أحد رجال الشرطة لاستقبالهم .

قال يحدث الكولونيل :

ـ طاب مساؤك يا سيدى .. المفتش كيرتس فى قاعة المكتبة .

ـ حسنا ..

وارتقى ميلروز درج السلم ، وتبعه زميلاه .

وفى ردهة القصر ، قابلهم كبير الخدم وهو رجل متقدم فى السن فحياه ميلروز قائلا :

ـ طاب مساؤك يا مايلز .. حادث مؤسف حقا .

فأجاب الرجل بصوت متهدج :

ـ نعم يا سيدى .. وانا لا أستطيع أن أصدق ، ما حدث .. لا أستطيع أن أصدق أن هناك من طوعت له نفسه أن يقتل السيد .

ـ سنتحدث فى ذلك يا مايلز .

ومضى الى قاعة المكتبة ، فاستقبله المفتش باحترام وقال :

ـ حادث سىء يا سيدى .. اننى تركت كل شىء فى

مكانه .. ولم أجد على أداة الجريمة اى اثر لبصمات الاصابع .. وذلك دليل على أن القاتل خطط لجريمته بحرص وحذر .

ونظر ساترتويت الى الرجل المقوس أمام المكتب .

كان من الواضح أنه تلقى ضربة من الخلف هشمت الجمجمة ..

وكانت أداة الجريمة ملقاة على الارض .. وهى تمثال من البرونز ، يربى ارتفاعه على نصف متر ..

وانحنى ساترتويت فوق التمثال ، وتأمله فى فضول وتمتم قائلا :

ــ انه تمثال (فينوس) ..

وقال المفتش :

ــ كانت النوافذ كلها مغلقة بالمزلاج من الداخل .

فقال الكولونيل :

ــ معنى ذلك أنها جريمة داخلية ..

وكان القتيل مرتديا ثياب (الجولف) ورأى الكولونيل حقيبة الجولف ملقاة على احدى الارائك .

قال المفتش :

ــ كان قد عاد لتوه من حلبة الجولف ، وكانت الساعة الخامسة والربع ، فطلب أن يحضروا له الشاى فى قاعة المكتبة . ثم استدعى خادمه الخاص ، وطلب اليه أن يأتى بحذاء خفيف وكان الخادم الخاص ، فيما نعلم ، هو آخر من رآه على قيد الحياة .

فأطرق ميلروز برأسه ، وفكر لحظة ، ثم نظر الى المكتب .

كانت بعض التحف والادوات على المكتب مقلوبة ، او محطمة ..

ورأى الكولونيل فى وسط المكتب ساعة كبيرة مقلوبة على جنبها .

قال المفتش :

ــ من حسن الحظ أن الساعة انقلبت وتحطمت وتوقفت عقاربها عند الساعة السادسة والنصف .. وهذا دليل واضح على ان الجريمة ارتكبت فى هذا الوقت ..

فقال الكولونيل :

ــ نعم أيها المفتش .. انه دليل واضح بل وشديد الوضوح الى حد يثير الريبة .

وتحول الى مستر كوين كأنما ليستطلع رأيه فقال هذا ؟

ــ هل تعنى أن الساعات لا تسقط هكذا ؟

فنظر اليه الكولونيل بحدة . ثم نظر الى الساعة ، ومد يده وأقام الساعة على قوائمها . وضرب سطح المكتب بقبضة يده ضربة قوية ، فاهتزت الساعة بعنف ولكنها لم تسقط ..

وأعاد الكولونيل الكرة .. فاهتزت الساعة ، ثم انقلبت على ظهرها ببطء .

سأل :

ــ متى اكتشفت الجريمة ؟

فأجاب المفتش :

ــ حوالى الساعة السابعة يا سيدى .

ــ ومن الذى اكتشفها ؟

ــ كبير الخدم .

ــ احضروه .. أريد ان اتحدث اليه الان . وبهذه

المناسبة . . أين الليدى دوايتون ؟

ــ فى مخدعها يا سيدى ، وتقول وصيفتها أنها فى حالة انهيار تام . ولا تستطيع مقابلة أحد .

فأطرق ميلروز برأسه ، وانطلق المفتش كيرتس للبحث عن الخادم الخاص . .

ولاحظ ساترتويت ، أن مستر كوين ينظر الى المدفأة ، وعلى وجهه دلائل التفكير ، فحذا حذوه ، ونظر الى المدفأة ، وبهر عينيه وهج الكتل الخشبية المحترقة لكنه لمح شيئا يتألق عند حافة المدفأة ، فانحنى والتقطه وتأمله . . ووجد أنه قطعة صغيرة مقوسة من الزجاج . .

وفى هذه اللحظة دخل كبير الخدم وقال بصوت متهدج :

ــ هل طلبتنى يا سيدى ؟

فوضع ساترتويت قطعة الزجاج فى جيبه ، ونظر الى الباب حيث وقف الخادم العجوز وقال الكولونيل فى رفق :

ــ اجلس يا مايلز . . انك ترتجف من قمة رأسك الى أخمص قدميك . . كان الحادث صدمة قاسية لك بطبيعة الحال .

ــ نعم يا سيدى . .

ــ اننى لن أستبقيك طويلا يا مايلز . . قيل لى أن سيدك عاد قبل الساعة الخامسة بقليل فهل هذا صحيح ؟

ــ نعم يا سيدى . وقد طلب موافاته بالشاى هنا . . وعندما عدت لاخذ أدوات الشاى ، طلب الى أن أبعث اليه جنجز . . خادمه الخاص . .

ــ كم كانت الساعة وقتئذ ؟

— كانت حوالى السادسة وعشر دقائق .
— وماذا حدث بعد ذلك ؟
— ارسلت الى جنجز من ينبئه بأن السيد يطلبه ، وفى الساعة السابعة جئت الى هنا لكى أغلق النوافذ وأسدل الستائر فرايت . . .
فقاطعه ميلروز قائلا :
— نعم . . نعم . . لا ضرورة لان تصف ذلك مرة اخرى . . انك لم تمس الجثة ، ولم تعبث بشىء . . أليس كذلك ؟
نعم يا سيدى . . وقد غادرت الغرفة بأقصى سرعة لكى اتصل بالبوليس . .
— ثم ؟
— ثم طلبت الى جانيت ، وصيفة الليدى — ان تنهى النبأ الى سيدتها .
— ألم تر الليدى طوال هذا المساء ؟
القى الكولونيل هذا السؤال ببساطة ، ولكن ساترتويت لاحظ فى صوته نبرة قلق لا تدركها الا الاذن المرهفة .
اجاب كبير الخدم :
— اننى لم أتحدث اليها يا سيدى ، لانها لزمت مخدعها بعد المأساة .
فقال الكولونيل بسرعة ، وبصوت حاد :
— الم ترها قبلها ؟
ولاحظ الجميع أن كبير الخدم قد تردد قبل أن يجيب .
— اننى . . اننى لمحتها حين هبطت السلم .
— هل كانت فى طريقها الى هنا ؟
وحبس ساترتويت أنفاسه .

قال كبير الخدم :

ــ أظن .. أظن ذلك يا سيدى .

ــ كم كانت الساعة وقتئذ ؟

وساد سكون رهيب ، كان يمكن خلاله أن تسمع صوت سقوط دبوس ..

وتساءل ساترتويت .. ترى هل أدرك الرجل ما وراء هذا السؤال ؟ وهل عرف النتائج الخطيرة التى ستترتب على جوابه .

قال كبير الخدم :

ــ كانت الساعة قد تجاوزت السادسة والنصف يا سيدى ..

فتنهد الكولونيل ميلروز وقال :

ــ حسنا .. هذا يكفى .. وشكرا لك يا مايلز .. أرجوك أن ترسل جنجز لمقابلتى .

* * *

وجاء جنجز على الفور ..

كان رجلا غائص الصدغين ، يمشى بخفة القط ، وفى مظهره وحركاته غموض ودهاء ..

وقال ساترتويت لنفسه :

ــ هذا الرجل من الطراز الذى يمكن أن يقتل سيده اذا وثق من أن أمره لن يفتضح .

* * *

واصغى ساترتويت باهتمام الى اجوبة جنجز على اسئلة الكولونيل ..

وكانت أجوبة صريحة ، وصادقة ، وليس فيها لف أو دوران .

قال انه احضر لسيده حذاء خفيفا ، واخذ حذاء الجولف لتنظيفه ..

— وماذا فعلت بعد ذلك يا جنجز ؟

— عدت الى جناح الخدم .

— كم كانت الساعة عندما تركت سيدك ؟

— كانت حوالى السادسة والربع ..

— واين كنت فى الساعة السادسة والنصف يا جنجز ؟

— فى جناح الخدم يا سيدى .

— حسنا ، يمكنك أن تنصرف الان .

* * *

وانتظر الكولونيل حتى غادر الخادم الغرفة ثم نظر الى كيرتس متسائلا .. فقال هذا :

— انه لم يكذب يا سيدى ، لقد تحققت من صدق أقواله ، وثبت لى أنه كان فى جناح الخدم من السادسة وعشرين دقيقة حتى السابعة .

فقال الكولونيل بشىء من الاسف :

— هو برىء اذن ، أضف الى ذلك انه ليس لديه دافع لارتكاب الجريمة .

وفى هذه اللحظة ، طرق باب الغرفة فنظر الرجال الثلاثة الى بعضهم بعضا ، وقال الكولونيل :

— ادخل ..

وفتح البـــاب ، ودخلت الوصـــيفة وعلي وجههـــا دلائل الذعر ..

قالت :

ــ لقد علمت سيدتى أن الكولونيل ميلروز موجود هنا . وهى تود مقابلته .

فقال الكولونيل :

ــ سأذهب اليهـــا فورا .. هل لك أن ترشديني الى الطريق ..

ولكن يدا امتدت فى هذه اللحظة ، ونحت الوصيفة جانبا ، ورأى الرجال الثلاثة الليدى لورا دوايتون على عتبة الباب .. أشبه بزائرة من عالم آخر ..

كانت ترتدى غلالة زرقاء ملتصقة بجسدها وشعرهـــا الاحمر مفروق من الوسط ومعقود خلف رأسها .. وقد توكأت بأحد ساعديها العاريين على الباب ، بينما تدلى من يدهـــا الاخرى كتاب .

ونظر اليها ساترتويت مبهورا ، وقال لنفسه ، ما أشبهها بالسيدة العذراء فى بعض اللوحات الايطالية القديمة !.

* * *

وقفت الليدى بالباب تترنح يمينا ويسارا ، فأسرع الكولونيل نحـــوها .

قالت :

ــ لقد جئت لكى أقول لك .. لكى أقول لك ..

فقال ميلروز وهو يحيطها بساعده حتى لا تسقط :

ــ مهلا يا ليدى دوايتون .. مهلا ..

واجتاز بها المكان ، وقادها الى غرفة صغيرة ملحقة بقاعة المكتبة ، وتبعهما كوين وساترتويت .

وتهالكت الليدى على أحد المقاعد ، وأغمضت عينيها .. بينما وقف الرجال الثلاثة يرقبونها .

ثم فجأة رفعت رأسها وفتحت عينيها ، وقالت بكل هدوء :

— اننى قتلته .. لقد جئت لكى أقول لك اننى قتلته ..

فساد صمت مؤلم استمر نحو دقيقة . وأحس ساترتويت كأن قلبه قد فقد احدى نبضاته .

وأخيرا قال ميلروز :

— اننى أعلم أن الصدمة كانت شديدة الوطأة يا ليدى دوايتون ولا أظن أنك تفقهين ما تقولين ..

وقال ساترتويت لنفسه وقد تعلقت عيناه بشفتيها :

— ترى هل ستتراجع الان .. بينما الفرصة سانحة ؟؟



قالت الليدى دوايتون فى هدوء :

— اننى أعرف جيدا ما أقول .. أنا التى قتلته

فشهق اثنان من الرجال ، أما الثالث فانه ظل على هدوئه .

وانحنت لورا دوايتون الى الامام وقالت :

— ألا تفهمنى ؟ .. اننى جئت الى هنا ، وأطلقت عليه الرصاص .. اننى أعترف بذلك .

وسقط الكتاب الذى كان بيدها ، وسقط من بين صفحاته خنجر صغير ذو مقبض مرصع ، من نوعِ الخناجر التي تستخدم

فى قطع الورق ، فتناوله ساترتويت ووضعه على المائدة وهو يقول لنفسه :

ــ هذه لعبة خطرة .. يمكن أن تقتل انسانا .

واستطردت لورا دوايتون قائلة فى ضجر ونفاذ صبر :

ــ حسنا .. ماذا ستفعل الان ؟ ألا تقبض على ؟

ووجد ميلروز صوته بصعوبة ..

قال :

ــ ان ما ذكرته لى الان خطير للغاية يا ليدى دوايتون وانى أرجوك أن تعودى الى مخدعك حتى أتخذ بعض الاجراءات الضرورية .

فنهضت ، وسارت الى الباب فى هدوء وثبات ..

وقبل أن تصل اليه سألها مستر كوين :

ــ وماذا فعلت بالمسدس يا ليدى دوايتون ؟

فدارت على عقبيها ، وبدا التردد على وجهها .

وقالت :

ــ اننى .. اننى ألقيت به على أرض الغرفة .. كلا .. أظن أننى ألقيت به من النافذة .. الواقع اننى لا أذكر الان .. ولكن ما أهمية ذلك ؟ اننى لم أكن أعرف ما أنا فاعلة ..

ــ نعم .. ذلك لا أهمية له .

فنظرت اليه بمزيج من الحيرة والقلق ، ثم رفعت راسها بحدة ، وغادرت الغرفة بعظمة ..

وأسرع ساترتويت وراءها .. فقد خشى أن تنهار وتسقط على الارض فى أية لحظة ..

ولكنها مضت فى طريقها ، وراحت تصعد درج السلم فى ثبات ، دون أن يبدو عليها أى أثر للضعف أو التخاذل ..

وكانت الوصيفة تنتظر سيدتها فى أسفل الدرج فقال لها ساترتويت :

ــ اسهرى على سيدتك جيدا ..

فقالت الوصيفة وهى تتأهب لارتقاء درج السلم فى اثر سيدتها :

ــ سأفعل يا سيدى .. ولكن حدثنى بربك .. هل يرتابون فيه ؟

ــ فيمن ؟

ــ جنجز يا سيدى .. انه انسان طيب لا يؤذى ذبابة ..

ــ جنجز ؟ كلا .. لا أحد يرتاب فيه .. اذهبى أنت واسهرى على سيدتك .

واسرعت الفتاة فى أثر سيدتها ، وعاد ساترتويت الى الغرفة . وسمع ميلروز يقول :

ــ الحق أننى فى أشد الحيرة .. لا بد أن وراء الاكمة ما وراءها .. انها تتكلم كاحدى البطلات الحمقاوات اللائى تزخر بهن الروايات الرخيصة .

فقال ساترتويت :

ــ نعم ان ما سمعناه الان لا يحدث الا على المسارح .

فقال كوين وهو ينظر الى ساترتويت :

ــ أرى أنك شغوف بالمواقف الدرامية .. وتقدر التمثيل الجيد .

فنظر اليه ساترتويت بحدة ..

وفى هذه اللحظة ، طرق آذانهم صوت بعيد ..

فقال ميلروز :

ــ يخيل الى انه صوت رصاصة . . أطلقها أحد حراس الغابة .. ومن المحتمل ان تكون الليدى دوايتون قد سمعت

صوتا كهذا .. فجاءت لاستطلاع الامر وتبادر الى ذهنها ان ..
وقبل أن يتم عبارته ، فتح الباب ، وقال كبير الخدم :
ـــ مستر ديلانجوا يا سيدى .
ـــ من ؟
ـــ مستر ديلانجوا .. انه جاء الان ويود التحدث اليك
فاعتدل الكولونيل فى مقعده وقال :
ـــ دعه يدخل .
ودخل بول ديلانجوا ..
كان فى مظهره وحركاته شىء (غير بريطانى) ، كما سبق ان قال ميلروز : فهو رشيق الحركة ، أسمر البشرة وسيم الطلعة .. يخيل للناظر اليه أنه عاشق من عصر النهضة ..
كان يحيط به جو شبيه بذلك الذى يحيط بنورا دوايتون ..
قال الشاب وهو يحنى قامته بحركة مسرحية :
ـــ طاب مساؤكم أيها السادة .
فقال ميلروز بحدة :
ـــ اننى لا أعرف ماذا تريد يا مستر ديلانجو ا .
ولكن اذا كان ما نريده لا صلة له بما نحن بصدده فان ...
فقاطعه الشاب بأن قال وهو يضحك :
ـــ على العكس يا سيدى .. انه وثيق الصلة به ؟
ـــ ماذا تعنى ؟
فقال ديلانجوا فى هدوء :
ـــ أعنى اننى جئت لاسلم نفسى بصفتى قاتل السير جيمس دوايتون .
هل تدرك خطورة هذا الاعتراف ؟
ـــ نعم ، ادركها تماما .
فقال الكولونيل :

— اننى لا أفهم ..
— لا تفهم لماذا أسلم نفسى ؟ قل انه الندم أو وخز الضمير .. قل ما تريد .. اننى قتلته .. وهذا هو المهم ..
ثم أومأ الى الخنجر واستطرد قائلا :
— أرى انك وجدت السلاح الذى ارتكبت به جريمتى .. من سوء الحظ أن الليدى دوايتون تركته فى كتاب كانت تقرأه ..
فقال ميلروز وهو يتناول الخنجر :
— صبرا لحظة .. هل تريد أن تقول أنك طعنت السير جيمس بهذا ؟
— تماما .. اننى دخلت من النافذة ، وتسللت خلفه دون أن يشعر بى أو يرانى .. وتم كل شىء بسهولة وسرعة .. وخرجت كما دخلت ..
— من النافذة ؟
— من النافذة طبعا ..
— ومتى حدث ذلك ؟
فتردد ديلانجوا لحظة ثم قال :
— دعنى أتذكر .. آه .. نعم .. اننى كنت أتحدث مع حارس الغابة فى الساعة السادسة والربع .. فقد سمعت دقة ساعة الكنيسة فى تلك اللحظة .. لابد أن الساعة كانت حوالى السادسة والنصف عندما ارتكبت الجريمة .
فقال ميلروز وهو يبتسم :
— تماما أيها الشاب .. لقد ارتكبت الجريمة فى الساعة السادسة والنصف .. ولكن لعلك سمعت أنها ارتكبت فى ذلك الوقت .. انها لجريمة عجيبة حقا .

ـــ لمـــاذا ؟

ـــ لان كثيرين اعترفوا بارتكابها . . .

فقال الشاب بصوت متهدج :

ـــ من الذى اعترف ؟

ـــ الليدى دوايتون . .

فضحك الشاب ضحكة مغتصبة وقال :

ـــ لابد أنها كانت تهـــذى . . لو كنت مكانك ما عولت على كلامها .

فقال ميلروز :

ـــ لا أظن اننى سأعول على كلامها . . ولكن هناك شيء آخر غريب فى أمر هذه الجريمة .

ـــ ما هو ؟

فقال ميلروز :

ـــ لقد اعترفت الليدى دوايتون بأنها أطلقت الرصاص على السير جيمس ، وأنت اعترفت بأنك طعنته بخنجـــر . . ولكن من حسن حظـــكما أنه لم يقتـــل بالرصاص ولم يطعن بخنجر . . لقد هشم رأسه بأداة ثقيلة .

فقال ديلانجوا :

ـــ يا الهى ! . ولكن هذا عمل لا تستطيع امرأة أن . . وصمت ، وعض شفته ، فابتسم ميلروز وقال :

ـــ هذا موقف قرأت عنه كثيرا . . ولكنه لم يحدث أمامى قبل الان . .

ـــ ماذا تعنى ؟ عن أى موقف تتكلم ؟

ـــ موقف شابين أحمقين ، يتهم كل منهما نفسه ، ظنا منه أن الاخر هو الفاعل . .

ـــ أظن أننا يجب أن نبدأ من جديد . .

فصاح ساترتويت :

ــ الخادم !. لقد حدثتنى عنه الوصيفة منذ لحظة ، ولكنى لم الق اليها بالا .. كانت تخشى ان نرتاب فى أمره .. لابد أن لديه دافعا نحن نجهله .. ولكنها تعرفه ..

فقطب ميلروز حاجبيه . ودق الجرس ، فجاء كبير الخدم فقال له :

ــ قل لليدى دوايتون أن تتفضل بالحضور .

وساد الصمت الى أن جاءت الليدى ، التى ما أن رأت ديلانجوا حتى بهتت واستندت الى الجدار لكيلا تسقط ، فاسرع ميلروز الى نجدتها وهو يقول :

ــ ان كل شيء على ما يرام يا ليدى دوايتون ، فلا تنزعجى .

فقالت :

ــ اننى لا أفهم .. ماذا يفعل مستر ديلانجوا هنا ؟؟

فهتف ديلانجوا وهو يقترب منها :

ــ لورا .. لورا .. لماذا فعلت ذلك ؟

لماذا اعترفت ؟ أنا أعرف لماذا .. انك ظننت اننى الفاعل .. يا لك من ملاك كريم ! .

فسعل الكولونيل ميلروز ..

كان نفوره من المواقف العاطفية لا حد له ..

قال :

ــ اسمحى لى يا ليدى دوايتون بأن أقول لك أنك ومستر ديلانجوا قد نجوتما بأعجوبة .. انه جاء فى التو واللحظة ليعترف بأنه الذى ارتكب الجريمة .. كلا .. اطمئنى .. انه لم يرتكبها .. ولكننا نريد الان أن نعرف الحقيقة بلا لف أو دوران .. قال كبير الخدم انك ذهبت الى المكتبة في الساعة

السادسة والنصف فهل هذا صحيح ؟

فنظرت لورا الى ديلانجوا وأومأ هذا برأسه وقال :

— قولى الحقيقة يا لورا .. اننا جميعا ننشد الحقيقة .

فتنهدت وقالت :

— سأقول الحقيقة ..

وجلست على المقعد الذى قدمه اليها ساترتويت قائلة :

— اننى هبطت درج السلم ، وفتحت باب المكتبة ، ورأيت ..

وصمتت ، وازدردت لعابها بصعوبة ، فاقترب منها ساترتويت ، وربت على يدها مطمئنا وقال :

— نعم .. ماذا رأيت ؟

— رأيت زوجى منكفئا على المكتب . والدم يسيل من رأسه .. أواه .. يا الهى !!

ودفنت وجهها بين كفيها . . فقال ميلروز وهو ينحنى فوقها :

— معذرة يا ليدى دوايتون .. ولكن هل ظننت أن مستر ديلانجوا أطلق عليه الرصاص ؟

فأطرقت برأسها علامة الايجاب وقالت فى توسل :

— معذرة يا بول .. انك قلت مرة ان ..

فقال ديلانجوا :

— قلت اننى سأقتله رميا بالرصاص كالكلب .. نعم ، أذكر أننى قلت ذلك عندما علمت أنه هددك .

فقال الكولونيل :

— هل أفهم من ذلك يا ليدى دوايتون ، انك بعد ان رايت جثة زوجك ، صعدت الى غرفتك دون أن تقولى شيئا ؟ لا ضرورة لان تذكرى الاسباب .. ولكن هل أنت واثقة من

أنك لم تمسى الجثة ولم تقتربى من المكتب ؟

فمرت بجسدها رعدة وقالت :

ــ نعم ، اننى انطلقت الى غرفتى توا .

ــ كم كانت الساعة بالضبط حينذاك ؟

ــ كانت الساعة السادسة والنصف تماما عندما عدت الى غرفتى .

فقال الكولونيل وهو ينظر الى زميليه :

ــ معنى هذا أن السير جيمس كان ميتا فعلا فى الساعة السادسة والدقيقة الخامسة والعشرين ، ومعناه أيضا أن هناك من عبث بعقربى الساعة ، وجعلهما يشيران الى السادسة والنصف .. وذلك ما توقعته منذ البداية .. فليس أيسر على الانسان من تحــريك العقربين لكى يشيرا الى الوقت الذى يريده .. ولكن الغلطة التى وقع فيها من عبث بالعقربين ، هى انه وضع الساعة على جنبها بهذه الطريقة ..

وعلى كل حال ، فان مجال الاشتباه قد ضاق الان وتركز فى شخصين ، كبير الخدم وجنجز .. وأنا لا أصدق أبدا أن كبير الخدم قد قتل سيده .. ولكن حدثينى يا ليدى دوايتون .. هل كان جنجز يحقد على زوجك لسبب ما ؟

فدفنت لورا وجهها بين كفيها وقالت :

ــ انه لم يكن يحقد عليه .. ولكن .. لقد ذكر لى جيمس صباح اليوم أنه طرد جنجز ، لانه اكتشف انه يسرقه .

ــ أحقا ؟ يبدو أننـــا أمسكنا بطرف الخيط .. ان طرد جنجز بسبب السرقة ، معناه الحرمان من شهادة حسن السير والسلوك .. وهذا أمر خطير بالنسبة اليه .

فقالت لورا :

ــ اننى سمعتك تتحدث عن ساعة المكتب .. ولكن هناك

الملل في امكان تحديد وقت ارتكاب الجريمة ، لقد تعود جيمس أن يضع في جيبه ساعة خاصة للعبة الجولف ، أفلا يحتمل ان تكون هذه الساعة قد تعطلت على اثر اصابته وسقوطه امام المكتب ؟

فقال الكولونيل ببطء :

ـ هذه فكرة وجيهة .. ابحث عن هذه الساعة يا كيرتس

فخرج المفتش مسرعا ، وعاد بعد دقيقة . وفي يده ساعة من النوع الذى يباع لهواة (الجولف) لكى يضعها اللاعب في جيبه مع الكرات .

قال :

ـ ها هى الساعة يا سيدى ، ولكنى لا اظن انها ستفيدنا لانها من النوع المتين الذى قلما يكسر او يعطب .

فتناول الكولونيل الساعة ووضعها على اذنه ، وقال بعد قليل :

ـ يخيل الى انها توقفت ..

وضغط زرا صغيرا ، ففتح غطاء الساعة ..

ووجد الكولونيل أن الزجاج مكسور ، وأن العقربين قد توقفا عند الساعة السادسة والربع .

ـ ٤ ـ

قال مستر كوين :

ـ هذا نبيذ جيد يا كولونيل ميلروز .

كانت الساعة قد تجاوزت التاسعة ، وكان الرجال الثلاثة قد فرغوا لتوهم من تناول العشاء فى بيت الكولونيل .

قال ساترتويت :

ـ يخيل الى يا مستر كوين أن العناية الالهية قد ارسلتك

الليلة خصيصا لتنقذ حياة شابين كانا يريدان أن يضعا عنقيهما في حبل المشنقة .

ـ أحقا ؟ كلا طبعا .. اننى لم افعل شيئا على الاطلاق .

فقال ساتوتويت :

ـ اننى لن انسى ما حييت لحظة ان قالت الليدى دوايتون : (أنا قتلته) .. كان الموقف رهيبا .. ولا اذكر اننى رايت على المسرح مشهدا أشد وقعا منه .

فقال كوين :

ـ اننى أوافقك على هذا .

فقال الكولونيل ، ربما للمرة العشرين فى ذلك المساء :

ـ اننى لم اصدق ان شيئا كهذا يمكن ان يحدث خارج القصص .

فقال ساترتويت :

ـ لقد كانت الليدى دوايتون عظيمة حقا ، ولكنها ارتكبت خطأ واحدا ، هو انها توهمت ان زوجها قتل بالرصاص .. كذلك كان ديلانجوا مغفلا حين اعتقد انه طعن بخنجر ، لا لشيء الا لانه راى على المائدة امامنا خنجرا احضرته الليدى معها بطريق الصدفة .

فتساءل كوين :

ـ أحقا أنها أحضرته بطريق الصدفة ؟

فقال ساترتويت :

ـ لو انهما اقتصرا على القول بأنهما قتلا السير جيمس دون أن يذكرا التفاصيل ترى ماذا كان يمكن ان تكون النتيجة ؟

فقال كوين وعلى شفتيه ابتسامة غريبة :

فقال الكولونيل :

ـ ان الحادث يبدو كقصة خيالية ..

فقال كوين :
ـــ اظن انهما استوحيا الفكرة من احدى القصص الخيالية
فقال ساترتويت :
ـــ ربما .. ان ما يقراه الانسان ، كثيرا ما يعود الى ذهنه بطريقة غريبة .
ثم نظر الى كوين واستطرد قائلا :
ـــ طبيعى ان موضوع الساعة كان يدعو الى الريبة منذ البداية .. وكما قال الكولونيل : ليس ايسر على الانسان من العبث بالعقارب لتقديم الساعة أو تأخيرها .
فاوما كوين براسه موافقا وردد الكلمات الاخيرة :
ـــ نعم .. تقديم الساعة أو تأخيرها .
ونظر الى ساترتويت ، ولمعت عيناه السوداوان ، فقال هـــذا :
ـــ نحن نعلم أن عقربى ساعة المكتب قدما .
فقال كوين :
ـــ احقـــا ؟
فحملق ساترتويت فى وجهه وقال ببطء :
ـــ هل تعنى ان ساعة الجولف هى التى أخرت ؟ ولكن هذا غير معقول .. هذا مستحيل !!
فتمتم كوين قائلا :
ـــ ليس مستحيلا .
ـــ ولكن لمصلحة من اخر عقربا ساعة الجولف ؟
ـــ لمصلحة شخص يستطيع اثبـــات وجوده فى مكان آخر فى ذلك الوقت .
فصاح الكولونيل :
ـــ يا الهى !! ذلك هو الوقت الذى قال ديلانجـــوا انه كان

يتحدث فيه الى حارس الغابة .
فقال ساترتويت :
— نعم ، انه كان حريصا على تأكيد ذلك .
ونظر الرجال الثلاثة الى بعضهم بعضا ، وشعروا كما لو كانت الارض التى يقفون عليها قد انهارت تحت اقدامهم .
اخذت الحقائق تدور فى أذهانهم وتبدو فى صورة واحدة .
فقال ميلروز :
— اذا صح ذلك فان ...
وكان ساترتويت أسرع منه تفكيرا واحد ذكاء فأتم عبارته
قال :
— اذا صح ذلك فان الموقف يختلف ، ويتغير من أساسه .
ان الخطة مدبرة .. ليس فى ذلك شك ، ولكنها مدبرة ضد الخادم جنجز .. ولكن هذا مستحيل .. لماذا راح كل منهما يتهم الاخر اذن ؟
فقال كوين بصوت هادىء خافت :
— انكما كنتما ترتابان فيهما قبل أن يتهم كل منهما الاخر أليس كذلك ؟ فلما فعلا ما يفعله البطل والبطلة البريئان فى القصص ، أيقنتما أنهما بريئان .. استنادا الى السوابق المماثلة فى القصص ...
لقد قال الكولونيل ان كل شيء يبدو وكأنه قصة من نسج الخيال ، وقال مستر ساترتويت أنه أروع من أى مشهد مسرحى ، وكنتما على صواب فيما ذهبتما اليه ..
فقال ساترتويت :
— تذكرت الان شيئا قاله كبير الخدم . انه قال انه ذهب فى الساعة السابعة لكى يغلق نوافذ قاعة المكتبة .. وهذا يعنى أنه كان يعلم أن النوافذ مفتوحة .

فقال كوين :

ـ لقد دخل ديلانجوا من احدى النوافذ المفتوحة .. وقتل سير جيمس بضربة واحدة .. ثم فعل هو والليدى دوايتون ما كان عليهما أن يفعلاه .

ونظر الى ساترتويت ليشجعه على تصوير الحادث فقط هذا بشيء من التردد ..

ـ انهما هشما ساعة المكتب ووضعاها على جنبها ، ثم عبثا بعقربى ساعة الجولف وهشماها .. وخرج ديلانجوا بعد ذلك من النافذة ، واغلقت الليدى النافذة بعد خروجه .. ولكن هناك امر يحيرنى .. وهو لماذا عبثا بساعة الجولف ؟ ولماذا لم يعمدا الى تأخير ساعة المكتب ؟

فقال كوين :

ـ لان ساعة المكتب كانت فى مكان ظاهر .. ولانه كان من الطبيعى أن يرتاب المحقق فى أن بعضهم قد عبث بعقربيها .

ـ ولكن فكرة ساعة الجولف كانت بعيدة عن الاذهان . وقد خطرت ببالنا مصادفة .

فقال كوين :

ـ كلا .. لا تنس أن الليدى كانت صاحبة الفكرة .

فنظر اليه ساترتويت فى دهشة وعجب ..

وقال كوين :

ـ ومع ذلك فان الشخص الوحيد الذى لا يمكن أن ينسى ساعة الجولف ، هو جنجز ، الخادم الخاص ..

ان الخادم الخاص يعرف أكثر من أى انسان آخر ما هى الاشياء التى فى جيب سيده . ولو كان جنجز قد عبث بساعة المكتب .. فانه لا بد أن يعبث أيضا بساعة الجولف .

ان هذين العاشقين الاحمقين لا يعرفان الطبيعة البشرية ..

ست لهما براعة مستر ساترتويت .

فهز ساترتويت رأسه وقال فى تواضع .

— اننى كنت مخطئا على طول الخط ، فقد ظننت ان العناية هية ارسلتك لانقاذهما .

فقال كوين :

— اننى انقذ تعاشقين آخرين .. هل رأيت وصيفة دى ، انها لا ترتدى ثوبا من حرير . ولا تمثل دورا دراميا .. نها جميلة حقا ، وهى تحب جنجز باخلاص .. واعتقد ه والكولونيل تستطيعان التعاون لانقاذ هذا الرجل جنجز المشنقة .

فقال الكولونيل :

— ولكن ليس لدينا اى دليل . من اى نوع .

فابتسم مستر كوين وقال :

— ان الدليل لدى مستر ساترويت .

فهتف ساترتويت فى دهشة :

— لدى انا ؟

— ان لديك الدليل على ان ساعة الجولف لم تتهشم فى ب السير جيمس .. ان ساعة كهذه لا يمكن أن يتهشم اجها الا اذا فتح غطاؤها .

جرب ذلك بنفسك وسترى اننى على صواب .

لقد اخذ بعضهم الساعة من جيب سير جيمس وفتحها ر عقربيها ، ثم حطم زجاجها واغلقها واعادها الى جيب تيل ... ولم يلاحظ الشخص الذى فعل ذلك أن زجاج ساعة تنقصه قطعة .

فصاح ساترتويت :

ومد يده الى جيبه بسرعة ، واخرج قطعة الزجاج المقوسة التى التقطها من المدفأة .

قال فى خيلاء وهو يلوح بقطعة الزجاج

ـ بهذه سننقذ حياة انسان .

ـ • ـ

لعبة المطاردة

ـ هنا ناحية اليمين .. فى مكان ما .. جزيرة كبيرة والحق انها لغز غامض .

ورد رينفورد على كلمات هويتنى قائلا :

ـ وأى نوع هى من الجزر ؟..

وقال هويتنى :

ـ ان الخرائط القديمة تطلق عليها اسم : « مصيدة السفن » . وهو كما ترى اسم واضح المعنى ، والبحارة يخشون هذا المكان ، ويحاولون دائما أن يتحاشوه ويبتعدوا عنه ، وان كنت لا أدرى لذلك سببا .. ولعل الامر مرجعه الى اشاعة خرافية تسود الاذهان .

وحدق رينفورد بجماع عينيه ، محاولا أن يخترق ببصره ظلمات تلك الليلة الاستوائية الداكنة التى تحتوى اليخت المنساب فوق المياه الدافئة بغلالة لا تنفذ فيها العين .

وقال رينفورد :

ـ اننى لا أستطيع أن أتبينها .

وقال هويتنى وهو يطلق ضحكة خفيفة :

ـ ان لك بصرا حديدا ، فقد عرفتك ترى الفأر فى الغابة ونحن منه على مسافة مائة متر ، فأنا الان فى عجب حين أراك عاجزا عن رؤية الجزيرة ونحن منها على قيد أربعة أميال .

واغرق رينفورد فى الضحك بدوره وهو يقول :

ـــ ولن استطيع ان اراها ولو كانت على قيد أربعة امتار ، فظلمات البحر الكاريبى دامسة شديدة .. ان الضباب يتراءى لى كأنه استارا من القطيفة السوداء .

وقال رينفورد يعده فى نبرة صادقة :

ـــ سيكون الضباب فى (ريو) اخف وطأة بكثير .. وسوف نصل الى هذه المنطقة خلال ايام قلائل . وارجو أن يكون بوردى قد أتم توريد البنادق ، حتى يتسنى لنا أن نمارس فى الامازون رحلة صيد رائعة .

ثم أردف وهو يلو حبيده فى الهواء :

ـــ الحق ان الصيد أمتع رياضة مارستها .

وقال رينفورد مؤمنا بنفس الحماس :

ـــ انه أعظم رياضة فى العالم .

واستطرد هويتنى يقول :

ـــ أعظم رياضة عند الصياد ، ولكن ليس بالنسبة الى النمور .

وهز رينفورد كتفيه ساخرا وقال :

ـــ دعك من هــذا الهراء يا هويتنى .. انك من أعظم الصيادين فى العالم ، فلا تحاول أن تجعل من نفسك فيلسوفا .

ثم أردف فى نبرة ساخرة وهو يضحك :

ـــ من الذى يهمه ما تفكر فيه النمور ! .. ان أحــدا لا يعنيه أن تعتقد النمور ان الصيد متعة رائعة أم رياضــة سخيفة تافهة .

وجارى هويتنى صاحبه فى ضحكاته وقال :

ـــ النمور يعنيها ما تفكر فيه النمور وما تشعر به .

ـــ وهل تعقل النمور وتفكر ؟ .. ان الحيوان لا عقــل له ولا قدرة على التفكير والفهم .

ـــ ورغم ذلك فانها تستطيع أن تفهم شيئا واحدا ، هو : الخوف .. الخوف من الموت ، والخوف من الالم .

وعاد رينمورد يغرق فى الضحك وهو يقول :

ـــ هراء .. يبدو ان حرارة الجو الانت منطباعك وجعلتك لين القلب شاعرى الاحاسيس ...

اسمع يا هويتنى .. كن واقعيا ، واطرح عنك هذه الخزعبلات .. ان هذه الدنيا تتألف من طائفتين : الصياد ، والطريدة .. ومن حسن الحظ اننا ـــ انت وانا ـــ من فئة الصيادين لا الطرائد .

ثم أردف يتساءل فى اهتمام :

ـــ أترانا تجاوزنا الان هذه الجزيرة التى يسميها القدماء : « مصيدة السفن » ؟ ..

ـــ لا أدرى ، فالظلام دامس لا أتبين فيه شيئا . ولكنى اتمنى أن نكون قد بعدنا عنها .

وتساءل رينفورد :

ـــ وما السبب ؟ ..

ـــ ان لهذه المنطقة سمعة مخيفة .

فتساءل رينفورد :

ـــ أتعنى اكلة لحوم البشر ؟ ..

ـــ كلا ، فأكلة لحوم البشر انفسهم لا يجسرون على الاقامة فى هذه المنطقة المهجورة .. ان البحارة يرتعدون خوفا عند الاقتراب منها .. ألم تلاحظ أن البحارة بدوا اليوم مضطربين متوترى الاعصاب ؟ ..

ـــ الواقع اننى لاحظت أن فى تصرفاتهم شيئا من الغرابة ، وان كنت لم أدرك السبب ، بل ان الكابتن نيلسون نفسه ..

فبادر هويتنى يقول مقاطعا :

ــ هذا صحيح ، فهذا الرجل القوى الشكيمة الصلب المراس ، الذى لا يهاب الاهوال ، بدا متوترا هو ايضا . ففى عينيه الزرقاوين ذات النظرات الثابتة القاسيه لمست نظره جديدة لا عهد لى بها من قبل . ولقد استدرجته الى الحديث عما به ، فلم يزد على ان قال : « ان لهذه المنطقة سمعة سيئة بين رجال البحر يا سيدى » . ثم اردف يخاطبنى فى نبرة مفعمة بالقلق : « وانت يا سيدى .. الا يخامرك شعور غريب ؟ .. »

واستطرد هويتنى يقول :

ــ ومن الغريب فعلا أننى ما سمعت كلماته حتى ساورنى شىء من القلق والتوتر ، كأنما الجو مشحون فعلا بما يثير الاعصاب . وارجوك أن لا تسخر منى اذا قلت لك اننى شعرت عندئذ . بموجة من البرودة تشتمل جسدى وتسرى فى اوصالى .

فقال رينفورد فى رقة :

ــ ولم اسخر منك ؟ ..

ــ لاننا كنا على خط الاستواء ، والجو ادنى الى الحرارة ، وليس فى الهواء نسمة واحدة .. كان الهواء ساكنا ، ومياه المحيط منبسطة هادئة ، ولكننا كنا نقترب من الجزيرة الملعونة .

وقال رينفورد :

ــ لا شك عندى فى أن ما شعرت به كان ضربا من الاوهام والخزعبلات .. بحار واحد يؤمن بالخرافات كفيل بأن ينقل العدوى الى كل من فى السفينة .

ــ ربما كنت على حق ، ولكنى لا اكتمك اننى اعتقد أن للبحارة حاسة سادسة تشعرهم بما يحيق بهم حين يستهدفون للخطر .. وانه ليخيل الى احيانا ان للشر خيوطا خفية متشعبة ذات موجات تاثيرية بعيدة المدى ، كالضوء والصوت . ولهذا يمكننى ان اقول ان المكان الشرير يطلق موجاته او ذبذباته

فتشتمل كل من يقترب منه وتؤثر فيه . وانني لسعيد باننا ابتعدنا عن هذه المنطقه .

وران عليهما الصمت برهة ، ثم قال هويتنى .

ـ اننى متعب قليلا ، وسآوى الى فراشى .

ورد عليه رينفورد قائلا :

ـ اما انا فلا يراودنى النعاس ، وسأبقى قليلا لأدخن فترة من الوقت ، ثم امضى الى مقصورتى .

ـ اذن طابت ليلتك ، وسألقاك على مائدة الفطور .

ـ حسنا .. الى اللقاء اذن يا هويتنى .

* * *

لبث رينفورد جالسا على سطح اليخت ، يدخن غليونه ، ومن حوله ليل ساكن ، لا تسمع فيه الا هدير المحرك الذى يدفع اليخت فى انسياب سريع الى أحضان الظلام الدامس ، ورشاش الماء وهو يتطاير فى الجو حين تضربه مراوح اليخت .

وتراخى رينفورد فى كرسى وثير من كراسى البحر ، مستمتعا بلذة التبغ الذى يدخنه ، وقد خامره شعور بالخمول لفرط الهدوء الذى يشتمل المكان .

وسرح ببصره بعيدا ، محاولا أن يخترق حجب الظلام .

ثم قال فى نفسه :

ـ الا ما اشد هذه الظلمة ! .. ان فى وسعى أن انام دون ان اطبق عينى ، فان ظلام الليل بمثابة الجفون .

وجاء صوت فجائى جعله يجفل فى فزع .

لقد صدر الصوت من ناحية اليمين ، وهو لا يمكن أن يكون مخطئا ، فان من يتخذ الصيد والقنص هواية لا يلبث أن يصبح خبيرا بالاصوات ، يميز بينها ، ويتبينها حتى لو كانت خافتة لا تكاد تسمع .

وللمرة الثانية سمع نفس الصوت ، ثم عاد يتردد فى سمعه للمرة الثالثة .

هناك فى قلب الظلام ، أطلق بعضهم الرصاص ثلاث مرات .. ثلاث طلقات نارية متتابعة .

هب رينفورد واقفا ، ومشى مسرعا الى سياج اليخت ، وقد استبدت به الحيرة والقلق .

وركز بصره محدقا الى الناحية التى صدر منها دوى الطلقات الثلاث . ولكن كان مستحيلا عليه أن يتبين شيئا ، أى شيء ، فى هذه الظلمات الكثيفة .

وأراد أن يوسع أمامه مجال الرؤية ، فاعتلى أحد القضبان الافقية للسياج ، وهو ممسك بالقضيب العلوى ، وفى صعوده اصطدم غليوبه بأحد الحبال ، فطار من بين شفتيه منحدرا الى البحر ، وبسط رينفورد يده بسرعة محاولا أن يمسك بالغليون .

وكان أن اختل توازنه ، فحاول أن يتشبث بالسياج ، ولكن جسمه انثنى الى الخارج ، وأطلق صرخة مدوية ، وهوى من فوق سياج اليخت .

وان هى الا لخظات خاطفة حتى أطبقت عليه مياه البحر الكاريبى ، وطوته اللجة فى غير تردد .

حاول رينفورد أن يصعد الى سطح المياه ، وحاول أن يصرخ مستنجدا ، ولكن الموجة التى دفعتها مراوح اليخت المسرع لطمت وجهه فى عنف حتى كادت تفقده الوعى ، كما تلقى فمه المفغور كمية من الماء المالح كادت أن تخنق حلقه .

وفى يأس وقنوط أخذ يسبح بكل قوته ، محاولا أن يهتدى بأنوار اليخت التى كانت تبتعد وتتضاءل .

بيد انه توقف عن السباحة ولما لم يقطع عشرين مترا .

لقد عاودته رباطة جأشه ، واسترد هدوء أعصابه وثباتها ،

فذلك لم يكن أول مازق تردى فيه .

ثمة فرصة قد تسنح ، فيسمع صرخـاته من يستقلون اليخت ، ولكنه ما كان ليخدع نفسه فى هذا ، فقد كان يعرف أنها فرصة ضئيلة ، وضآلتها تشتد كلما جد اليخت فى سيره مبتعدا ، ومع ذلك فانه لن يضيعها ، مهما بلغ من ضآلتها .

وجاهد حتى استطاع أن يخلع ثيابه وهو فى المـاء ، لكى تزداد سرعته ، وانطلق يصرخ بملء قوته ، وفى الوقت نفسه كان يسبح بأقصى سرعته ، محاولا اللحاق باليخت .

بيد أن هذا الامل تبدد وتلاشى . اذ مضى اليخت ينأى رويدا رويدا ، وأخذت انواره المتلألئة تخبو تدريجيا ، حـتى طلواها الظلام .

وذكر رينفورد الطلقات النارية التى تناهى الى سمعـه دويها .

لقد صدرت من ناحية اليمين ، وهذا معناه أن فى تلك الناحية شخصا أو أشخاصا هم الذين اطلقوا هذه الرصاصات الثلاث .

وعلى الفور تحـول الى اليمين ، واخذ يسبح فى هـذا الاتجاه .

كان يسبح فى بطء ، ولكن بضربات ثابتة ، محاولا أن يدخر قوته أقصى فترة ممكنة ، اذ كان لا يعرف متى ينتهى هذا النضال مع البحر .

واخذ يسبح ، ويسبح ... وخيل اليه أن كفاحه لا نهاية له . وجعل يحصى ضرباته .. انه لن يستطيع أن يضرب الماء بعد ذلك الا مائة ضربة على الاكثر . وبعدها لابد أن تخـور قواه ، ويتخاذل جلده .

— وعندئذ ...

وسمع رينفورد صرخة .

من أعماق الظلام انطلقت الصرخة .. وكانت صرخة عالية ، داوية .. صرخة حيوان معذب مذعور .

ولم يستطع رينفورد أن يتعرف على فصيلة الحيوان الذى أطلق هذه الصرخة ، بل انه لم يهتم ان يتبينه .. كان كل همه أن يصل الى مصدر الصوت .. وبحيوية جديدة وبجهد جديد ، أخذ يضرب الماء بذراعيه ، يشق طريقه فيه ، سابحا الى حيث صدر الصوت .

وللمرة الثانية سمع الصرخة الداوية ، ثم سكت كل شيء ، وساد الهدوء عقب طلق نارى آخر .

وقال رينفورد لنفسه وهو ما زال يسبح بكل قوته :

ــ هذه طلقة من مسدس .

* * *

بعد عشر دقائق من الجهد الخارق سكت مسامع رينفورد لجمل أصوات طرقت أذنيه طوال حياته .

لقد سمع مياه البحر وهى تضرب شاطئا صخريا وتتكسر عليه ! ..

اذن ، فهناك على كثب منه أرض يمكن أن يلوذ بها .

وان هى الا لحظات حتى كانت الصخور منه على قيد ضربة ذراع .

وبكل ما به من بقية قوة تشبث بأول صخرة لمستها يده ، فهذه الصخرة هى طوق النجاة من الموت الذى كان يتربص به .

وكانت فى الصخرة شقوق عديدة احدثتها ضربات المياه ، فأخذ يدس أصابعه فى تلك الشقوق ، واحدا بعد الآخر ، محاولا أن يتسلق الصخرة ، وأنفاسه تتلاحق لاهثة مبهورة ، حتى انتهى أخيرا الى بقعة مسطحة عند القمة .

دار ببصره فيما حوله ، فتبين أن تلك الصخور تشرف على

هوة عميقة تنتشر فيها غابة كثيفة ، وراح يسائل نفسه عما تضمه هذه الغابة من مخاوف ، وما تدخر له من أهوال . على أن هذه الخواطر لم تبعث فى نفسه ذرة من القلق ، اذ كان حسبه فى هذه اللحظة ان يفكر فى أنه نجا من الموت .. نجا من عدوه الاكبر ، وهو البحر .

والقى بجسده على الارض ، وما لبث أن غرق فى نوم عميق لم يعرف له مثيلا من قبل .

حين فتح رينفورد عينيه واستفاق من نومه ، أدرك من موضع الشمس ان الوقت جاوز الظهيرة بعدة ساعات . وقد أفاده هذا النوم كثيرا ، وافاض عليه نشاطا وحيوية دافقة . واحس بالجوع يفرى أحشاءه ، ولكن لم تكن هــذه بالمشكلة العويصة .

ان الطلقات النارية التى سمعها تدوى دليل قاطع على أن فى هذا المكان انسانا ، وحيث يوجد الانسان ، فلابد من وجود الطعام .

هذا ما دار فى ذهنه ، فسرى الاطمئنان الى نفسه .

على انه ما لبث ان راح يسائل نفسه : اى نوع من الناس هنا واى طراز ؟ .. هل هم من المتوحشين الذين سوف ينقضون عليه ، فيمزقونه اربا ؟ .. أم هم قوم متحضرون يجد منهم ما تصبو اليه نفسه من ترحيب ؟ .. وهذه الغابة ؟ .. أهى مهبط الاهوال ، أم مناط الامل والرجاء ..

والقى ببصره الى الغابة التى تحت قدميه ، والتى تنحدر اليها الصخور فى خط يكاد يكون رأسيا .

كانت اشجار الدغل متكاثفة متشابكة ، تتعانق أشجـارها وتتداخل ، ولم يتبين فيها طريقا يمكن أن يسلكه . ثم ان الهبوط اليها قد يكون شاقا مضـنيا ، فآثر رينفورد ان يمشى على

الصخور التى تدور بالجزيرة ، فهذا أهون مشقة من اقتحام الغابة وابعد عن مواطن الخطر .

ولاحظ وهو ماض فى طريقه خيطا من الدماء يلوث الارض . . هذا حيوان جريح دون شك .. حيوان كبير ضخم الجثة ، فها هى ذى قوائمه مطبوعة بصماتها على الارض ، ثم انه اتجه الى الغابة هاربا والدماء تنزف منه ، فبذلك يوحى خيط الدم ، ثم ان الاعشاب والشجيرات مهصورة تحت وطأة ثقله وبسبب جسمه الضخم فى المكان الذى دخل منه الى الغابة .

واسترعى بصر رينفورد شىء لامع على الارض ، فمال فوقه والتقطه ، فاذا به خرطوشة فارغة ، أدرك على الفور أنها خرطوشة مسدس من عيار ٢٢ .

وقال لنفسه : عجبا ! عيار ٢٢ لصيد حيوان مفترس ! .. الحق انه صياد جرىء .. لا شك أن الرصاصات الثلاث الاولى جرحت الطريدة ، ولعل الرصاصة الرابعة قضت عليه ، فهو الان فى الغابة جثة هامدة .

وانكب على الارض يفحصها ، وكان سعيدا حين اكتشفه ما كان يصبو اليه .. كانت متطبعة على الارض آثار حذاء الصيادين . وكان اتجاهها يشير الى نفس الاتجاه الذى كان ماضيا اليه . وأسرع الخطى ، ولكن فى حذر وحيطة ، فقد كان الطريق الذى يسلكه وعرا ، مليئا بالحصى والحجارة ، فتنتشر فيه حفر كثيرة يمكن أن تكون مزالق خطر داهم .

وكانت الشمس قد غابت وراء الافق ، واخذ ظلام الليل ينشر استاره على الارض ، واشتدت الغابة رهبة ووحشة .

ونجاة ، حين انعطف عند أحد المنحنيات ، لاحت له الانوار على البعد ، وطفرت السعادة الى قلبه متدفقة طاغية .... هاهو ذا موشك ان يقع على ملاذ آمن ، يحميه من الجوع

ومن الوحوش .
كان أول خاطر دار في ذهنه أن هذه أنوار احدى القرى ، ولكن حين تقدم في مسيرته أدرك أن هذه الانوار كلها انما تنبعث من مبنى واحد .. مبنى شاهق له أبراج شامخة تشق طريقها عبر السماء .. انه قصر كبير مشيد على ربوة عالية ، وجوانبه الثلاثة تشرف على الجرف المتصل بالبحر ، حيث تتكسر أمواجه على الصخور .
وقال لنفسه وقد راودته فكرة يائسة :
ــ أهذا قصر حقيقي ، أم أن الامر لا يعدو أن يكون مجرد خداع بصر ؟ .. مجرد سراب ووهم من الاوهام ؟ ..
ولكنه لم يكن سرابا ، ولا خداع بصر .
ها هي ذي البوابة الحديدية أمامه .. وها هو ذا يلمس بأصابعه قضبانها الحديدية الباردة .. وها هي ذي البوابة تنفتح حين دفعها بيده .. وها هي أخيرا الدرجات الرخامية أمامه ، وقد استقرت قدمه على أول درجة منها .
كل هذه حقائق مادية ، وليست وهما خداعا .
وارتقى الدرج ، وألقى رينفورد نفسه واقفا أمام باب خشبي ضخم ، تتوسطه مطرقة من الصلب .
ورفع المطرقة ، ثم أنزلها يخبط الباب ، وجعله دويها يجفل ويباغت . ولكن الباب لم يفتح .
وعاد يطرق الباب من جديد ، وتناهى الى سمعه وقع خطوات من وراء الباب المغلق .
وان هي الا لحظات حتى تحرك الباب وفتح ، ومضى رينفورد يرمش بعينيه ، فقد بهرت بصره الانوار المتلألئة التي تدفقت من الداخل .
وحين استقر بصره ، وجد نفسه يحملق في رجل لم يره

فى حياته من هو أضخم منه جسما وأطول قامة .. عملاق ضخم كالمارد يرتدى بزة رسمية من القطيفة السوداء ، وازرارها من النحاس الاصفر . وكان الرجل ملتحيا يكاد الشعر يحجب وجهه ، ومن وسط هذه الغابة من الشعر تبرز عينان صغيرتان، تنبعث منهما نظرات صلبة ثابتة .

وكان فى يد الرجل مسدس ذو فوهة طويلة ، وكان المسدس مصوبا الى صدر رينفورد .

وقال رينفورد وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة وديعة حاول أن يبدد بها مخاوف الرجل ذى المسدس .

— لا تخف يا صاح .. اننى لست لصا .. لقد وقعت من اليخت الذى كنت أركبه وكدت أغرق .. ان اسمى هو سانجر رينفورد من نيويورك .

بيد أن نظرة الوعيد التى كانت تطل من عينى العملاق لم تتبدل، والمسدس المصوب الى صدر رينفورد كان لا يزال فى موضعه ، ينذر بالموت ، ولم يبد فى سمات وجه الرجل أنه تأثر بكلمات رينفورد ، أو أنه حتى وعى معناها أو سمعها ، فقد كانت سحنته جامدة جمود الحجر الاصم .

وعاد رينفورد يقول فى نبرة ودية :

— اننى سانجر رينفورد من مدينة نيويورك .. لقد وقعت من اليخت .. وانا جائع لانى لم أذق طعاما منذ الامس .

وكان الرد الوحيد الذى تلقاه رينفورد هو أن العملاق حرك المسدس قليلا ليحكم التصويب ، كما وضع طرف اصبعه على الزناد .

وفجأة اعتدل العملاق فى وقفته ، وضم قدميه احداهما الى الاخرى فى وقفة عسكرية ، ثم رفع يده الى رأسه بالتحية ..

وعندئذ رأى رينفورد رجلا آخر يهبط الدرج الرخامى العريض

المفضى الى الطابق العلوى .

كان الرجل طويل القامة ، نحيف البنية ، رشيق القوام - وكان مرتديا ثياب المساء .

وتقدم الرجل الى رينفورد ، وبسط اليه يده مصافحا .

وفى نبرة مهذبة قال :

— انه ليسعدنى كثيرا أن أرحب فى بيتى بمستر سانجز رينفورد الصياد الشهير .. اننى الجنرال زاروف . ولقد قرأت كتابك عن « صيد الفهود فى جبال التبت الثلجية » .

كان أول انطباع لرينفورد أن الرجل وسيم القسمات ، وكان الانطباع الثانى أن فى وجهه شيئا غريبا يسترعى الانتباه ، كان الرجل مديد القامة ، فى سن الكهولة ، لان شعره كان أشيب شديد البياض ، ومع ذلك كان شاربه — على النقيض — شديد السواد ، وكذلك كان شأن حاجبيه . أما عظام وجنتيه فكانت شديدة البروز — وجملة القول انه كان وجه رجل أرستقراطى ألف اصدار الاوامر ، وألف أن يطاع .

وتحول الجنرال الى العملاق الشاهر مسدسه ، وأومأ اليه ايماءة خاصة ، فأودع المسدس جرابه ، ورفع يده بالتحية العسكرية ، ثم انسحب مبتعدا .

وقال الجنرال باسما فى لهجة ودية :

— ان ايفان رجل شديد الصرامة بشكل شاذ ، وقد نكب بفقد السمع والقدرة على الكلام ، فهو أخرس أصم . وهو رجل طيب السريرة ، ولكنه كسائر عشيرته حاد الطباع .

وسأله رينفورد :

— أهو روسى ؟

— نعم .. انه من القوازق .

واتسعت ابتسامته حتى اشتملت وجهه ، وكشفت الابتسامة

عن أسنان ناصعة البياض ، وقال :

— وأنا أيضا قوزاقى .

ثم استطرد فى صوت رقيق النبرات :

— آه .. لقد كدت أنسى نفسى .. دعنا الان من هذا الحديث ، ففى وسعنا أن نتحدث فيما بعد ، ففى الوقت متسع لذلك . أما الان فأنت فى حاجة الى الثياب والطعام ، وسيكون لك منهما ما تشاء .

وجاء ايفان بعد لحظات ، وتحدث اليه الجنرال بتحريك شفتيه ، ولكن دون أن يتفوه بالكلام فكثيرون من الخرس الصم يستطيعون أن يدركوا ما تقول اذا أنت حركت شفتك فى بطء ، دون حاجة منك الى النطق .

ثم تحول الجنرال الى رينفورد قائلا :

— أرجوك أن تتبع ايفان يا مستر رينفورد .. اننى كنت موشكا أن أتناول عشائى عندما قدمت ، ولكنى سأنتظرك وستجد أن ثيابى تلائم مقاسك فيما أعتقد .

ومضى ايفان يتقدمه الى مخدع النوم ، وكانت غرفة واسعة رحبة ، يتصدرها سرير عريض جدا يتسع لخمسة أشخاص .

ووضع ايفان على الفراش ثياب المساء ، وحين تناولها رينفورد ليرتديها ، لاحظ أنها مصنوعة فى لندن ، وأن اسم الترزى المدون عليها من اشهر صناع انجلترا ، وعملاؤه من كبار اللوردات والدوقات .

وكانت غرفة المائدة التى دعى اليها رينفورد رائعة الفخامة ، مؤسسة بأفخر الرياش ، تتوسطها مائدة كبيرة طويلة ، وتتدلى من سقفها المرتفع ثريات بلورية ضخمة .

والى راس المائدة كان الجنرال جالسا ، مرتديا ثياب المساء ، ينتظر قدوم ضيفه .

وقال الجنرال :

— أحسب أنك تريد قدحا من الكوكتيل يا مستر رينفورد قبل تناول العشاء .

وأومأ رينفورد برأسه شاكرا .

وكان الكوكتيل من نوع فاخر ، قدم اليه فى كوب من البللور الممتاز .

وأعقب الكوكتيل قدح من الشمبانيا .

وقال الجنرال : اننا نحاول هنا أن لا نتخلف عن قواعد الحضارة ، ولكننى أرجو أن تكون الشمبانيا لا تزال محتفظة بمذاقها ، وأن لا يكون حفظها فترة طويلة قد أفسدها .

فقال رينفورد : أن مذاقها طيب جدا .

وحين قدم الطعام وجد أن الصحاف من الفضة الخالصة، كما أحس أن الجنرال زاروف مضيف مجامل شديد الرعاية لضيوفه ، ويتحرى راحتهم .

على أن الشىء الذى أثار انتباهه ، وبعث فى نفسه شيئا من القلق ، هو أنه ما رفع بصره مرة ونظر الى الجنرال زاروف ، الا وجد الجنرال يحدق فيه ويتأمله باهتمام .

وقال الجنرال يتحدث الى ضيفه !

— لعل الدهشة راوتك حين وجدتنى أعرف أنك من كبار الصيادين .. الواقع اننى دائم الاطلاع على كل مايكتب عن الصيد والقنص باللغات الانجليزية أو الفرنسية أو الروسية ، فهوايتى الوحيدة فى هذه الدنيا يا مستر رينفورد هى الصيد .. انه الشىء الوحيد الذى أتعلق به وأعشقه .

وقال رينفورد وهو يدير عينيه فى رؤوس الوحوش المعلقة على جدران القاعة :

— ان لديك هنا مجموعة رائعة من رؤوس الحيونات

واستقر بصر رينفورد على راس من بينها وقال :

انى لم ار راس تور بهذا الحجم ... انه اضخم راس شاهدته فى حياتى .

فقال الجنرال : آه ... هذا الراس .. ؟ كان هـذا الثور عملاقا ، وهو من فصيلة كيب .

وقال رينفورد فى اهتمام :

— وهل هاجمك ياترى .. ؟

— الواقع انه طاردنى بوحشية ، ووجدتنى محصورا فى مكان ضيق ، وظهرى مستند الى احدى الاشجار ، وهو منطلق الى ناحيتى للانقضاض على ، وقد عاجلته برصاصة قاتلة ، ولكن قرنه أصاب جبهتى ، وأوشك ان يهشمها .

فقال رينفورد : كنت أعتقد دائما أن ثيران كيب هى اشد الطرائد وحشية ، وأن صيدها من أشد المخاطر .

ومرت لحظات والجنرال صامت لا يعقب برأيه ، وان ارتسمت على وجهه ابتسامة غريبة ، قد أطلت من عينيه نظرة تنطوى على معنى مثير لم يدرك رينفورد كنهه .

ثم قال فى كلمات بطيئة متمهلة :

— كلا يامستر رينفورد .. انك مخطىء فى هذا .. ان ثيران كيب ليست اشد الطرائد خطرا .

وتناول رشفة من قدحه ، ثم استطرد :

— فى هذه الجزيرة طرائد اشد خطرا من ثيران كيب

فقال رينفورد فى شىء من الدهشة :: :

— افى هذه الجزيرة طرائد صالحة للصيد والقنص ؟

واومأ الجنرال براسه قائلا :

— بل فيها أكبر الطرائد واشدها وحشية .

— حقا .. ؟ هذا غريب

فابتسم الجنرال وقال :

ــ ان الجزيرة لم تكن موطنها الاصلى ، ولكننى جئت بها الى الجزيرة ، واطلقتها فيها ، فتناسلت ، واتخذتها موطنا جديدا .

وتساءل رينفورد

ــ وما هى الحيوانات التى استوردتها يا جنرال ؟ . . نمور ؟ . .

وعاد الجنرال يبتسم من جديد وقال :

ــ كلا يا مستر رينفورد . . ان صيد النمور لم يعد منذ سنوات يثير اهتمامى . . لم يعد فى قنص النمور من المخاطر ما يشبع ولعى بالمغامرة . . اننى مولع بالخطر يا مستر رينفورد ، وقد وهبت حياتى للاخطار .

وتناول الجنرال من جيبه علبة سجائر ذهبية ، وقدم الى زائره سيجارة طويلة سوداء اللون ذات مبسم فضى ، وحين أشعلها رينفورد تصاعد منها شذى عطرى .

وقال الجنرال وهو ينفث دخان سيجارته :

ــ سنقوم ، أنت وانا ، جملة صيد رائعة ، وسوف يسعدنى أن اكون فى صحبتك .

وقال رينفورد متسائلا :

ــ ولكن ما هى الطرائد التى سنقوم بصيدها ؟ . .

ــ سأخبرك ، وسوف يثيرك ما تسمع .

وبعد سكتة قصيرة استطرد الجنرال يقول :

ــ اننى استطيع ان اقول بمنتهى التواضع ، وبمنتهى الفخر ايضا ، اننى انجزت شيئا نادرا . . لقد قمت بابتكار مثير . . وانى لفخور بذلك . . أتحب يامستر رينفورد أن تشرب قدحا آخر من النبيذ ؟ .

— شكرا لك يا جنرال .
وملأ الجنرال كأسين ، قدم أحدهما الى ضيفه .
واستطرد يقول :
— يخلق الله الناس طبقات مختلفة ، فيجعل بعضهم شعراء ، ويجعل سواهم ملوكا ، وغيرهم فقراء متسولين .. أما أنا ، فخلق مني الله صيادا .. لقد قال أبى عنى أن يدى خلقت لكى تضغط الزناد .. كان أبى ثريا واسع الثراء ، وكان يملك فى بلاد القرم ربع مليون فدان ، كما كان رياضيا أصيلا ممتازا ...
وتناول الجنرال زاروف جرعة من النبيذ ، ومضى يقول :
— وحين كنت فى الخامسة من العمر أعطانى بندقية صغيرة صنعت من أجلى خصيصا فى موسكو ، وطلب منى أن أصيد بها العصافير ، وهكذا تدربت على اصابة الهدف واحكام التصويب . وقد استطعت أن أصيد دبا فى جبال القوقاز ، وأنا بعد فى العاشرة من عمرى .. وهكذا كانت حياتى كلها حلقة متصلة من لصيد والقنص . وحين التحقت بالجيش ، توليت قيادة كتيبة من فرسان القوازق ، ولكن اهتمامى الوحيد لم يكن يثيره الا الصيد . وقد اصطدت جميع أنواع الحيوان والوحوش ، وفى شتى بلاد العالم ، والواقع أنه عسير على أن أحصى ما اصطدت حتى اليوم ، فالطرائد التى صدتها تفوق الحصر .
ونفث الجنرال عدة أنفاس من سيجارته ، ثم استرسل :
— بعد نشوب الثورة البلشفية فى روسيا غادرت البلاد ، فليس من الحكمة أن أبقى هناك فى عهد الثورة وانا من ضباط القيصر . وكان من حسن حظى أننى كنت أستثمر جزءا كبيرا من ثروتى فى سندات امريكية ، فلما هاجرت من وطني كان لدى من المال ما يهيىء لى حياة مترفة . وهكذا مضيت أمارس

هواية القنص فى شتى البلاد ، فصدت الظباء فى جبال روكى الامريكية ، والتماسيح فى الكونغو ، والخرتيت فى شرق افريقيا ، والحادث الذى شج فيه راسى حين نطحنى ثور ه‍يب انما وقع لى فى افريقيا ، وقد لزمت الفراش فى المستشفى عندئذ بستة شهور كاملة . ولكنى ما كدت اشفى واسترد عافيتى حتى رحلت الى بلاد الامازون لاصيد الفهود ، لما سمعت عن دهائها .

وتنهد الجنرال القوزاقى وقال :

— ولكن فهود الامازون لم تكن من الدهاء بالقدر الذى وصف لى .. لقد بالغوا فى وصفها بالمكر والدهاء وقدرتها على خداع الصياد ، فان اى صياد على قدر معقــول من الذكاء يستطيع ان يصيدها بسهولة ، ما دام يحمل فى يده بندقية قوية بعيدة المدى .

وبعد سكتة قصيرة استتلى الجنرال زاروف الحديث بقوله :

— حدث ذات ليلة ان كنت راقدا فى خيمتى اشكو صداعا كاد ان يحطم راسى . وعلى حين بغتة غزت راسى فكرة عجيبة .. فكرة رهبة .. قلت لنفسى ان الصيد قد أصبح عندى باعثا على الملل ، خاليا من الاثارة ، وانه قد روح المغامرة .. ولعلك تذكر ما قلته لك من ان الصيد هو حياتى التى أعيش من أجلها ، واننى ان تخليت عن ممارسته فكأننى قضيت على نفسى بالموت .

فقال رينفورد :

— اننى مقدر مشاعرك تماما .

وارتسمت ابتسامة خفيفة على شفتى الجنرال وقال :

— ولا يروق لى طبعا ان اقضى على نفسى بالموت .

وانا يا مستر رينفورد رجل متفتح الذهن ، قادر على التحليل ، اعرف كيف اربط المقدمات بالنتائج ، ولهذا سألت نفسى عما جعل الصيد عندى متجردا من الاثارة ، باعثا على الملل .. ما هو

السبب الذى جعل الصيد خاليا من المغامرة ؟ ..

فقال رينفورد

ــ نعم .. ما هو السبب ؟ ..

ــ السبب فى أن الصيد لم يعد ممتعا هو انه اصبح سهلاً هينا . اخرج الى الصيد ، ثم اعود حاملا الطرائد .. عملية خالية من المشقة .. عملية روتينية مملة .. اين النضال ؟ .. أين النضال ؟ .. اين المغامرة .. لا شيء من هذا .

واشعل الجنرال سيجارة جديدة ، واستربمل :

ــ لم يعد لاى حيوان مهما كان شانه فرصة للفرار من رصاص بندقيتى .. ليس هذا ضربا من الغرور ، ولكنه الحقيقة الواقعة .. ليس للحيوان الا قوائمه وغرانزه ، والغريزة مهما كانت مرهفة لا يمكن أن تضاهى العقل فى قدراته .. وعندما خطرت لى هذه الفكرة يا مستر رينفورد كانت لحظة مأساوية .

ومال رينفورد الى المائدة يستند اليها بمرفقيه ، وقد اثاره حديث الجنرال زاروف .

واستطرد رب الدار :

ــ ونزل على فيما يشبه الالهام ما ينبغى أن افعل .

ــ وماذا كان هذا يا ترى ؟ ..

وارتسمت على شفتى الجنرال ابتسامة هادئة واستطرد :

ــ يجب أن « أخترع » حيوانا جديدا لكى اصيده .

ــ حيوان جديد ؟ .. انك تمزح يا جنرال ؟ ..

فقال الجنرال فى جدية ورصانة :

ــ اننى لا أمزح .. انى ما اتخذت من الصيد فى حياتى سببا للمزاح .. الصيد عندى أمر مقدس لا مزحة فيه .. نعم اننى فى حاجة الى حيوان جديد ينطوى صيده على الاثارة .

ولاذ الجنرال بالصمت هنيهة ، ثم قال فى اقتضاب :

ــ وقد وجدته .. وجدت هذا الحيوان الجديد . ولهذا السبب اشتريت هذه الجزيرة ، وشيدت فيها هذا البيت ، واتخذت منها مسرحا للصيد . ان هذه الجزيرة خير مكان للصيد والقنص ، ففيها غابة كبيرة كثيفة ، كما انها مليئة بالتلال والمستنقعات .

ــ ولكنك لم تحدثنى يا جنرال زاروف عن حيوانك الجديد .. هذا الذى اخترعته ، وكيف اخترعته .

ــ أوه ! .. لقد هيأ لى اقوى أسباب الاثارة فى عملية الصيد .. انى الان أمارس الصيد فى كل يوم ، ومع ذلك لا اشعر ابدا بالملل ، وذلك لان للطريدة التى اسعى وراءها « عقل » يمكن ان يكون ندا للعقل الانسانى .

فبادر رينفورد يقول معترضا :

ــ ولكن ليس ثمة حيوان له عقل ... ان الحيوان عاجز عن التفكير .

ــ ولكن حيوانى أنا يا عزيزى رينفورد له عقل ، ويستطيع أن يفكر .. انه فى هذه الدنيا الحيوان الوحيد الذى ميزه الله بالعقل وبالقدرة على التفكير .

ــ هذا عجيب .. هذا مستحيل .. تصيد البشر ؟ .. أغلب الظن أن قولك هذا مزحة مبالغا فيها .

ــ قلت لك اننى لا امزح ابدا فيما يتعلق بالصيد .. ان له عندى مرتبة القداسة .

ــ وهل تسمى هذا صيدا وقنصا يا جنرال زاروف ؟ .. انه قتل واغتيال .

وأطلق الجنرال ضحكة مرحة وقال :

ــ انى لا استطيع ان اصدق ان رجلا متحضرا مثلك جاب

بلاد الدنيا كلها يمكن ان يتشبث بهذه الافكار الخيالية عن قيمة الحياة البشرية .. انك التحقت بالجيش وحاربت ، فهل كنت خلال المعارك تعف عن القتل ؟

— هذا شيء مختلف تماما يا جنرال ، فالقتل شريعة الحروب ، اما ما تتحدث انت عنه فقتل متعمد .

وعاد الجنرال يطلق ضحكة صاخبة ، وحين تماسك وكفه عن الضحك ، مضى يقول :

— ما أغرب أمرك يا صديقى ! .. انى ما كنت اتصور ابدا ان التقى فى هذا العصر برجل له سذاجتك .. ان افكارك يا صديقى قد اصبحت بائدة ، ولا محل لها الا فى العصر الفكتورى .. عصر الاجداد الذين اندثروا واندثرت معهم مبادئهم الساذجة .

ثم استطرد يقول وقد علت شفتيه ابتسامة عريضة :

— لا شك عندى فى أنك ستطرح عنك هذه الافكار البالية حين نخرج — أنت وأنا — للصيد معا .. سوف تلمس فى طريقتى متعة مثيرة لم تشهد لها مثيلا من قبل .

فرد رينفورد فى صوت حازم النبرات :

— اننى صياد يا جنرال ، ولكننى لست قاتلا .

وهتف الجنرال زاروف فى استنكار :

— يا الهى ! .. أنعود مرة أخرى فتردد هذه العبارات البشعة ؟ .. انى موقن من أن فى وسعى أن أغير عقيدتك ، وان ابرهن لك على أن ثورة ضميرك لا تستند الى أساس .

— حقا ؟ .. وكيف ذلك بالله عليك ؟ ..

— اسمع يا عزيزى رينفورد .. ان الحياة للاقوياء ، لا للضعفاء .. الاقوياء هم الذين يجب أن يعيشوا ، أما الضعفاء فلا مفر من ان يندثروا .. ان على الاقوياء أن يأخذوا الدنيا

اغتصابا ـ تلك هى سنة الحياة وشريعة الاقوياء .

ولاذ بالصمت برهة خاطفة جرع خلالها رشفتين من شرابه، ثم استرسل يقول :

ـ اننى رجل قوى ، فلم لا استغل موهبتى ؟ .. اننى أريد أن أمارس الصيد ، فما الذى يحول دونى وممارسته ؟..

ثم يجب أن تعلم اننى لا أصيد من الرجال الا حثالة الارض وصعاليك الناس .. اننى أصيد أخس الفئات : البحارة الذين يعملون على سفن التهريب ، وهم كما تعلم من احط الطبقات.. انهم جميعا من اللصوص والمحتالين والمحكوم عليهم الهاربين من سطوة القانون .. انهم من حثالة الزنوج والصينيين .. ان حياة الكلب اقدس عندى من حياة هؤلاء القوم .

فقال رينفورد فى انفعال :

ـ انسيت يا جنرال انهم بشر ؟ .. بشر مثلنا ؟ ..

ـ وهذا هو ما يجعلنى شغوفا بصيد الرجال .. انى اجد فى ذلك متعة لا تضاهيها متعة أخرى .. انهم يستطيعون ان يفكروا ، وهم يحاولون ان يبطشوا بى ، وفى هذا ما يضفى على عملية الصيد اثارة رائعة ...

وقال رينفورد متسائلا فى اهتمام :

ـ ولكن كيف تحصل على هؤلاء الرجال .. ؟ من أين تأتى بهم .. ؟

وأطلق الجنرال ضحكة مرحة وقال :

ـ أتعرف الاسم الذى يطلقه البحارة على هذه الجزيرة .. ؟ انهم يسمونها : « مصيدة السفن » . ففى بعض الاحيان يثور البحر ، ويقذف الى الشاطىء ببعض السفن ، فترتطم بالصخور وتتحطم ، ويقع بحارتها بين يدى . أما اذا بخل على البحر بالصيد المنشود ، فان لدى

ووسائل أخرى أجتذب بها السفن ... تعال انظر من النافذة لاريك ما اعنى .

ومشى رينفورد الى النافذة ، واطل منها على البحر .

كان الظلام ضاربا اطنابه ، لولا شعاع ضئيل ينبعث من القمر الذى تخفيه غلالة خفيفة من السحب .

وقال الجنرال وهو يومىء باصبعه الى انفضاء خارج النافذة :

— والان انظر ما سوف يحدث .

ثم ضغط زرا فى الجدار ، فاذا ومضات من النور تتلألأ وتنطفىء تباعا ، مرة بعد مرة .

واغرق الجنرال فى الضحك وقال :

— هذه الانوار كما رايت شبيهة بأنوار الفنارات التى ترشد السفن الى مجرى آمن فى المناطق الصخرية ، فاذا مارات المراكب المارة بالقرب من جزيرتى هذه الانوار ، اتخذت طريقها مسترشدة بها ، وهى تظن انها تجرى فى مجرى مائى خال من الصخور ، فى حين ان هذا المجرى لا وجود له . وهكذا ترتطم بصخور الجزيرة وتتهشم ، ويرتمى البحارة على الشاطىء معبين مكدودى القوى ، فالتقطهم وأدعوهم الى بيتى ، ثم أتخذ منهم فيما بعد طرائد للصيد ، يضاعفون عندى الشعور بالمتعة والاثارة .

— يا للقسوة ! .. تقتل بنى البشر ، وتجد فى هذا متعة واثارة ! ..

وتبدت فى عينى الجنرال موجة من الغضب ، بيد أنها لم تستغرق سوى الا ثوان معدودات ثمّ ما لبثت أن تبددت وتلاشت وعاد يقول بتلك النبرات الرقيقة المهذبة :

— رحماك ربى ! .. يا لك من شاب متزمت ، متشبث

بالمثل العليا ! .. انى أؤكد لك يا صديقى انك واهم فيما تقول .. اننى لا اقترف ما تظنه بى .. نعم .. انى لا اقتل ، والا كنت وحشا على صورة انسان .. اننى اعامل هؤلاء الضيوف بمنتهى الرعاية والاعزاز .. اننى اقدم اليهم من الطعام كميات وفيرة ، ولجعلهم يمارسون الالعاب الرياضية ، وحين يصبحون فى صحة جيدة يشعرون بالامتنان لى .. وسوف تشهد ذلك بنفسك غدا .

فتساءل رينفورد :

ــ ماذا تعنى ؟ ..

فارتسمت على شفتى الجنرال ابتسامه حفيفة وقال :

ــ غدا ستزور مدرسة التدريب .. ان مقرها فى قبو البيت ، ولدى فى الوقت الحاضر حوالى عشرة تلاميذ او أكثر قليلا ، وهم من بحارة السفينة الاسبانية « لارك » ، التى كان من سوء طالعها أن ارتطمت بالصخور ، فتهشمت ، ولاذ بحارتها بجزيرتى .

فقال رينفورد مقاطعا فى حدة :

ــ وانت طبعا الذى استدرجتها الى صخور الجزيرة بأنوار فنارك الزائف .

واستطرد الجنرال زاروف دون أن يأبه لهذه المقاطعة :

ــ يجب أن أعترف ان طبقة البحارة حقيرة من احط الطبقات ، كما انهم معتادون على حياة البحر دون الغابات

ورفع يده يومىء الى ايفان الذى كان واقفا فى ركن القاعة بلا حراك ، حتى لكأنه تمثال قد من الصخر ، فأسرع الجندى يحمل الى مولاه اقداح القهوة التركية اللذيذة المذاق .

وتابع الجنرال الحديث قائلا :

ــ عندما يصبح الرجل منهم فى حالة صحية جيدة ، أدعوه الى ، واقول له اننا سنخرج للصيد ، وازوده بكمية وفيرة من

الطعام تكفيه بضعة أيام ، واسلحه بخنجر حاد من خناجر الصيد ، ثم اجعله يخرج الى الغابة قبلي بثلاث ساعات ، ثم أتعقبه مسلحا بأصغر انواع المسدسات عيارا ، وبأقصرها مدى .. فاذا استطاع طريدتي ان يراوغني ويفلت مني ثلاثة أيام كاملة ، فانه يفوز علي ، ويكسب اللعبة ، أما اذا عثرت عليه فانه يخسر ويفقد حياته .

فقال رينفورد متسائلا :

— هبه رفض أن يجعل من نفسه طريدة للصيد ؟ ..

— ان له حق الاختيار طبعا ، وهو غير مجبر على ممارسة هذه اللعبة ان لم يكن راغبا في ذلك ، فاني اكره ان أرغمه على شيء لا يرضاه .

— هل تعني انه اذا رفض ممارسة الصيد فانك تخرجه من الجزيرة ، وتبعث به الى ارض اخرى ؟ ..

— كلا طبعا .. ان رفض الصيد عهدت به الى ايفان ليتولى أمره ، وايفان ان كنت لا تعلم كان جنديا في حرس القيصر ، وكان عمله هو جلد من يغضب عليهم القيصر بالسياط .. نعم . ان ايفان خبير باستعمال السوط ، واذا ما ذاق الرجل منهم ضربات السياط صاح يختار ان يكون طريدة الصيد .

وتساءل رينفورد :

— واذا انت لم تعثر عليه وكسب اللعبة ؟ ..

واتسعت ابتسامة الجنرال حتى اشتملت وجهه كله وقال :

— ولكن حتى اليوم لم أخسر الجولة ولا مرة واحدة .

— ثم استطرد يقول في كلمات سريعة :

— ان كثيرين منهم يفكرون في الهرب من القصر ، ولكن الفرار يكاد يكون مستحيلا مع وجود الكلاب .

— الكلاب ؟ .. ماذا تقصد ؟ ..

— تعال معى من فضلك ، وسوف ترى بنفسك ما أقصد .
وقاد الجنرال ضيفه الى احدى نوافذ القاعة ، وكان الضوء الذى يتسرب من النافذة الى فناء القصر كافيا لكى يستطيع رينفورد أن يتبين على هذا الضوء الخافت انطباح تلك الكلاب الضخمة التى تتجول فى الفناء .
وحين شعرت الكلاب بأن غريبا يطل عليها من نافذة القصر ، رفعت رؤوسها الى أعلى مزمجرة ، وهى تتطلع اليه بعيون ينبعث منها الشرر .
وقال الجنرال :
— ان لدى من الكلاب مجموعة رائعة ، وهى من خير الفصائل وأذكاها وأشدها شراسة ، وقد اعتدت أن أطلقها كل ليلة عند السابعة مساء ، فلو خطر لأحد من الناس أن ينزل الى الحديقة لمزقته اربا .
واستطرد الجنرال :
— والان أحب أن أريك ما لدى من مجموعة الرؤوس الآدمية .. فهل لك يا صديقى أن تصحبنى الى المكتبة .
وكان جواب رينفورد أن قال :
— أرجو أن تعفينى الليلة من مشاهدتها يا جنرال ، فانى اشعر بشىء من التوعك .
فقال الجنرال فى نبرة توحى بالاهتمام :
— حقا ؟ .. لقد كنت أتمنى أن نخرج الليلة الى الصيد .. ومع ذلك لا غرابة فى أن تكون متوعكا مكدودا بعد أن سبحت هذه المسافة الطويلة ، ولكنك سوف تسترد نشاطك غدا ، وتشعر كأنما ولدت من جديد .
وعندئذ تمارس لعبة الصيد ، أليس كذلك ؟ ..
ونهض رينفورد واقفا ، واتجه الى الباب فى خطوات

متعجلة ، في حين كان الجنرال يخاطبه قائلا :

— انه ليؤسفنى حقا أننا لم نخرج الليلة الى الصيد ، فقد كانت بى لهفة الى الاثارة ، ولست أشك فى أننى سأجد فيك طريدة لا مثيل لها لما جبلت عليه من ذكاء وحنكة وخبرة بمسالك الغابات .. وعلى أية حال فالغد ليس بعيدا .

ثم استطرد يودع ضيفه :

— طابت ليلتك يا مستر رينفورد ، وأرجو لك نوما هادئا .

* * *

ولكن كيف يواتيه النوم ، وهو يعلم أنه فى غده سوف يصبح طريدة صيد يلاحقها مجنون فى يده مسدس قاتل .

كان الفراش مريحا وثيرا ، وكانت البيجاما من الحرير الخالص ، وكان السكون شاملا ، وكان هو نفسه متعبا مكدودا — ومع ذلك جافاه النوم ، واستبد به الارق .

كان منطرحا على الفراش ، وعيناه مفتوحتان ، وهو يحدق فى الظلام ، وفى رأسه تصطخب من الافكار والخواطر موجة بعد موجة .

وسمع مرة وقع خطى خفيفة مختلسة خارج غرفته ، وخطر له أن يفتح الباب ليتبين من يكون هذا الطارق الليلى ، وزايل فراشه ، واتجه الى الباب ، ولكنه استعصى وأبى أن يفتح .. كان موصدا من الخارج . وسار الى النافذة ، وأطل منها .

لقد اسكنوه غرفة فى أحد ابراج القصر . .غرفة تبعد عن الارض عشرة أمتار ، ولا نتوءات فى الجدار يتعلق بها ليهبط الى الارض ، ولا سبيل الى القفز والا دقت عنقه وتهشمت اضلاعه .. وحتى اذا استطاع أن يصل الى الارض سالما ، فسوف تكون الكلاب المتوحشة فى انتظاره لكى تنهش لحمه

وتمزقه اربا .
لا مفر اذن ! .. ان عليه أن ينتظر فى الغد مصيره .
كان ضوء القمر خابيا ، ولكنه استطاع على هدى هذه الاشعة الضئيلة ان يتبين معالم الفناء .. وهناك رأى تلك الاشباح المخيفة تروح وتغدو ، والشرر يطق من عيونها الشرسة .
ويبدو أن الكلاب فطنت الى وجوده فى النافذة ، فدفعت اليه رؤوسها ، وأخذت تزمجر وتزوم .
وارتد رينفورد الى الفراش ، وانطرح عليه ، وحاول أن ينام ، وأخيرا غلبه النعاس ، بيد أنه صحا فجأة على دوى طلق نارى ، وقد أوشك نور الصباح أن ينبلج .

* * *

لم يظهر الجنرال زاروف مرة أخر ى الا وهما على مائدة الغذاء .
وأبدى الجنرال اهتماما كبيرا بالاستفسار عن صحة ضيفه، وهل أصاب من النوم حظا طيبا ؟ ..
وقال الجنرال :
ـ أما عنى أنا ، فانى أشعر بأننى لست على ما يرام .. فى الليلة الماضية عاودنى دائى القديم .. الشعور بالملل .. نعم ... لقد بدأت أشعر يا مستر رينفورد بأن الصيد لم يعد يثيرنى .
وتناول الجنرال قطعة من الحلوى ، واستطرد :
ـ لم يكن الصيد ممتعا ليلة الامس ... لقد استبد الارتباك بالرجل الطريدة ، فاتخذ فى هروبه طريقا مستقيما ، فكان من الهين على ان اتعقبه ... الا تبا لهؤلاء البحارة ..! انهم على غاية من الغباء ... انهم لا يعرفون كيف يسيرون

فى الغابات ، وهذا هو ما يضايقنى ... انى اريد رجلا يعرف كيف يضللنى ، وكيف يرهقنى بالبحث عنه ... هل لك فى كأس أخرى من البراندى يا مستر رينفورد .. ؟

وقال رينفورد فى صوت صارم النبرات :

— اصغ الى يا جنرال ... انى أريد أن اغادر هذه الجزيرة فى الحال .

ورفع الجنرال حاجبيه الكثيفين ، واوحت قسمات وجهه بانه مستاء لما سمع .

وقال : ما هذا الذى تقول يا عزيزى رينفورد .. ؟ انك لم تكد تصل الى الجزيرة ، فكيف تريد أن تبادر بالرحيل .؟ ثم انك لم تمارس لعبة الصيد ... انك ...

بيد أن رينفورد بادر يقاطع الجنرال قائلا :

— انى اريد أن اسافر اليوم .

وتأمله الجنرال بنظرة ثابتة يتفحصه ، وبدا الجذل فى عينيه . ثم ملأ كأس ضيفه بالبراندى وقال :

— الليلة سنقوم بالصيد .. أنت وانا .

وهز رينفورد رأسه سلبا وقال :

— كلا يا جنرال ... انى لن اصطاد .

وهز الجنرال كتفيه فى غير مبالاة ، وقضم قطعة من التفاح ، ثم قال :

— ايه .. ! فليكن لك ما تشاء يا صديقى ... انى لا يمكن ان احرمك من حق الاختيار ، ولكن من حقى أن أنبهك الى انك ستجد ان فكرتى عن الصيد ارحم بكثير مما سيفعله بك ايفان .

واومأ براسه الى ناحية ايفان الذى كان منتصبا فى ركن القاعة كأنه تمثال من الجرانيت .

وصاح رينفورد : هل تعنى أن ...

ولكن الجنرال ابتدره مقاطعا :

ــ ألم أخبرك من قبل يا مستر رينفورد اننى حين أذكر الصيد فانما أتكلم جدا لا هزلا .. ! اما الصيد ، وأما السوط فى يد ايفان يفرى البدن ويهرا اللحم .

ورفع الجنرال كأسه الى شفتيه وهو يقول :

ــ الان سأشرب نخب طريدة رائعة تضاهينى عقلا وذكاء ... انى أشرب نخب مستر رينفورد .

وافرغ فى جوفه ما فى كأسه ، فى حين ظل رينفورد جامدا لا يتحرك ولا يتناول شرابه .

واستطرد الجنرال قائلا فى حماس :

ــ انك ستجد هذا الطراز من الصيد مثيرا رائعا ... ذكاؤك ضد ذكائى ... وحيلك مقابل حيلى ... وخبرتك بالغابات ازاء خبرتى ... انها أمتع من لعبة الشطرنج ... رجل يتحرك على رقعة الغابة مقابل حركة من رجل أخر ... انه شطرنج آدمى ... وأخيرا : « كش الملك » . يالها من لعبة ممتعة .

وفى صوت أجش قال رينفورد :

ــ واذا كسبتت .. ؟

واجاب زاروف : اذا لم أعثر عليك حتى منتصف الليلة الثالثة ، فسأعترف بأنى انهزمت ، وفى هـذه الحالة ترحل على مركبى الشراعى لتنزل فى احدى الجزر المأهولة .

وقطب رينفورد حاجبيه ، وادرك الحنرال ما يجـول فى خاطره ، فابتدره بقوله :

ــ لك ان تركن الى كلمتى وان تثق بقولى .. انى رجل رياضى لا احنث بوعد قطعته على نفسى ... ولكنى فى مقابل

هذا افرض عليك شرطا له اهميته عندى .
ــ وما يكون هذا الشرط .. ؟
ــ الا تحدث أحدا بما رايت فى هذه الجزيرة .
فقال رينفورد فى لهجة عناد واصرار :
ــ لن أعدك بشيء على الاطلاق .
فقال الجنرال فى نبرة استياء .
ــ فى هذه الحالة لا يمكن ان ...
ثم أمسك وبتر عبارته وقال :
ــ ولكن ما الذى يدعونا الى أن نتجادل الان فى هذا ..؟
بعد ثلاثة أيام يمكننا أن نتداول فى هذا الامر ، ونحن نحتسى كأسا من الشمبانيا ــ الا اذا ..
ورشف الجنرال جرعة من نبيذه دون ان يكمل عبارته .
ثم ما لبث ان استطرد :
ــ سيعد لك ايفان ملابس يا الصيد مستر رينفورد ، مع كمية وفيرة من الطعام ، وخنجر من تلك الخناجر التى يستعملها الصيادون .
ونفث من سيجارته حلقة كثيفة من الدخان ، ثم قال :
ــ دعنى أسدى اليك نصيحة هامة ... ابتعد عن الركن الجنوبى الشرقى من الجزيرة ، ففيه يقع المستنقع الكبير ، ونحن نسميه : « مستنقع الموت » ، وهناك أيضا منطقة « الرمال الناعمة » التى تغوص فيها القدم ، ولا يملك المرء أن ينتزع منها قدمه ، مهما بلغ من القوة والصمود ، ويظل يغوص فى الرمال الناعمة ويغوص ، الى أن تبتلعه وتنطوى فوقه .
ومضى الجنرال يقول محذرا :
ــ حدث مرة أن اتجه أحد البحارة فى هروبه الى هذه

المنطقة ، وغاص قدماه فى الرمال الغادرة ، ولحق به لازار أجمل وأقوى كلب عندى ، فابتلعته الرمال ، وحزنت عليه حزنا شديدا .

وقال رينفورد لنفسه :

— هذا الرجل لابد أن يكون معتوها ... لقد حزن من أجل الكلب ، ولم يحفل بذلك الانسان الذى ابتلعته الرمال

ونهض الجنرال واقفا وهو يقول :

— انى استأذنك فى الصعود الى مخدعى ، اذ أحب أن أرتاح قليلا ، اما أنت فلا وقت لديك للراحة ، اذ يجب أن تتقدمنى ببضع ساعات ، فعليك أن تبادر الآن الى الخروج ، أما انا فسأبدأ فى اقتفاء أثرك عندما يحل الغسق ، وينجاب ضوء النهار .. ان الصيد فى الليل أشد متعة واثارة .. والآن الى اللقاء يا مستر رينفورد ، وأتمنى لك صيدا موفقا .

وانحنى الجنرال زاروف أمام رينفورد يحييه ، وغادر القاعة وضحكاته تجلجل فى أركانها .

وان هى الا دقائق حتى جاء ايفان يحمل معدات الصيد : ملابس كاكى ، وكيس زاخر بالطعام ، وجراب فيه خنجر كبير طويل النصل .

وادرك رينفورد عندئذ أن مصيره فى كف القدر .

* * *

انقضت ساعتان ورينفورد دائب على شق طريقه فى باطن الدغل المتكاثف الاشجار .

وكان لاينى يردد فى نفسه :

— يجب ان احتفظ بأعصابى هادئة ساكنة .... يجب أن أبقى رابط الجاش .

كان يعلم انه ان اضطرب وتوترت منه الاعصاب ، فان

امله فى النجاة سوف يتبدد وينهار .

حين خرج الى هذه المغامرة التى فرضت عليه لم يكن صافى الذهن ثابت الجنان ، بل كان مضطربا لا يدرى ما ينبغى ان يفعل .

كان كل همه أن يبتعد عن القصر الى اقصى حـــد مكن ، حتى تكون بينه وبين الجنرال زاروف مســـافة كبيرة تهىء له فرصة الامن والنجاة . فانطلق مبتعدا ، لا هم له الا أن يسرع بقدر ما تتحمل ساقاه ، وقـــد استبد به شيء من الذعر .

واخيرا توقف ، وكف عن المسير ، واشتد صفاء ذهنه ، واخذ يسأل نفسه عما ينبغي ان يفعل ... ان هذا الفرار لن ينقذه من الموت ... ان الجنرال ــ وهو الصياد القدير ــ سوف يهتدي الى اثره ويلحق به .

ما الذي فعله حتى هذه اللحظة ... ؟ لقد ابتعد كثيرا .. هذا صحيح .. ولكنه سار فى خط مستقيم ، والفرار فى خط مستقيم من الهين ان ينكشف ، فكأنه قضى على نفسه بالاعدام . اذ لن تمضى الا فترة وجيزة ، ثم يجد نفسه على الشاطىء مواجها البحر وبهذا يصبح هيكله ظاهرا يستطيع المرء أن يراه من مسافة بعيدة .

تريث رينفورد برهة مفكرا ، يحاول ان يهتدى الى طريقة يضلل بها هذا السفاح .

وقال رينفورد يخاطب نفسه :

ــ سأهيىء له اثرا يتبعه ، ويضلله .

وانتحى جانبا بعيدا عن طريق « المدق » الذى كان قــد اتخذه وهو يسير فى الغابة ، وأخذ يمشى فى حركات دائرية ، ذهابا وايابا ، متبعا فى هـــذا أسلوب الثعالب فى تضليـــل مطارديهم ، فاذا ما جاء الجنرال يقتفى اثره ، فلن يعرف أن

كان رينفورد قد اتجه الى الامام أم رجـــع الى الوراء ، وذلك لكثرة خطوط الاثر وتداخلها بعضها فى بعض .

ولا شك أن الجنرال زاروف سيقف أمـــام هـــذه الاثار حائرا مرتبكا ، لا يدرى أيها يقتفى ، وهذه الفترة يكون رينفورد قد ابتعد عنه مسافة أكبر ، وهو ما يهدف اليه .

كانت ليلة مكدودة أرهقت رينفورد ، وبددت كل قواه . فقدمـــه كليلة لا تقوى على الســـير ، ووجهه مرعى خصب للخـــدوش الناشئة عن أغصان الاشجار التى كانت تحتك بوجهه ، وهو يخترق الغابة فى خضم الظلام . بيد أنه كان يعلم ان من الجنون ان يضرب فى احشاء الغابة خلال الليل ، حتى ولو توافرت له القدرة على المشى .

كانت حاجته الى الراحة ماسة ملحة ، ومضى يقـــول فى نفسه :

ـــ حتى الآن قمت بدور الثعلب ، فراوغت الجنـــرال والقيت فى طريقه بأثر زائف ، لعله يضله ويعميه عن مكانى . ولكن على منذ اللحظة ان أقوم بدور القط الذى قرأنا عنه فى قصص الاطفال .

كانت على كثب منه شجرة ضخمة ، لها جـــذع كبير ، وغصونها وارقة فى متناول يده . ومضى الى الشجرة ، وأخذ يتسلقها ، وهو يحرص على أن لا يخلف وراءه أثر ينم على أنه صعد الشجرة . ثم زحف فوق غصن عريض متين ، وانطرح فوقه فى استرخاء ، ليصيب حظا من الراحة .

وأفاضت عليه الراحة شعورا بالثقة والامن . فحتى الصياد القدير ـــ كزاروف وأمثاله ـــ لا يمكن أن يهتدى الى مكمنه هذا .

بهذا اخذ يحدث نفسه . على انه ما لبث أن قال :

— لقد طمست أثرى ، وافتعلت اثارا جديدة مضلله ...

انها آثار تحير أقــدر الصيادين ، ولا يمكن أن يكتشف زيفها الا الشيطان .

ولكن ما يدريه أن زاروف ليس هو الشيطان نفسه متخفيا

وتتابعت ساعات الليل بطيئـــة متمهلة ، ورغم السكون الذى يسود الغابة ، لم يغمض له جفن ، اذ استبد به الارق ، لفرط انزعاجه مما قد يحـــدث حين يهتدى الجنرال زاروف الى أثره .

وبدأت ظلمات الليل تتبدد تدريجا ، وانتشرت فى صفحة السماء غلالـــة رمادية ، وسكت مســـامع رينفورد زقزقة العصافير حين تبلجت أضواء الفجر . وأدرك رينفورد بصادق حسه أن الطيور لا تزقزق فجـــأة بهذه الصورة الا اذا كان هناك « شىء » يتحرك فى الغابة ، وهـــذا الشىء قد يكون حيوانا أو انسانا .

ولكن هنا — فى مثل هذا الموقف ، لابد ان يكون القـــادم انسانا ، وهذا الانسان لابد ان يكون الجنرال زاروف .

كان الجنرال قادما يقتفى أثر طريدته ، رينفورد .

كان آتيا فى بطء ، فى خطوات مختلسة ، خطوات حـــذرة متوجسة .

ومد رينفورد جسده فوق الغصن العريض ، ومن خلال فرجة صغيرة وسط الأغصان ، أخذ يتطلع الى اسفل ، ليرى ما سوف يفعله الجنرال .

وكان « الشىء » الذى يقترب رجلا ، وكان هذا الرجل هو الجنرال زاروف .

كانت عينه مركزة على الارض ، يتأمل الاثر الذى خلفه طريدته .

وتوقف الجنرال على قيد خطوات معدودات من الشجرة ، ثم ركع على ركبتيه ، وأخذ يفحص الارض على ضوء الفجر الباهت ..

واقتحمت رأس رينفورد فكرة جنونية ... لقد خطر له أن يقفز من الغصن الذى يرقد فيه ، وأن ينقض على الجنرال زاروف ، شأن الفهد ، وأن يغمد خنجره فى صدره ، فيرديه قتيلا .

بيد أنه لمح فى يد الجنرال شيئا يبرق ويلمع .. انه مسدس ، فى رصاصاته يكمن الموت الذريع ، فنفض عنه هذا الخاطر الاحمق ..

واعتدل الجنرال واقفا ، ومضى يهز رأسه عدة مرات ، بطريقة توحى بأن ثمة أمرا ما يحيره .

وأخرج الجنرال من جيبه علبة سجائره الذهبية ، وتناول منها سيجارة أشعلها ، وجذب منها عدة أنفاس ، فتصاعد الى أنف رينفورد أريجها العطرى فكتم أنفاسه حتى لا تفاجئه عطسة تكشف مخبأه .

وزايلت عينا الجنرال الارض ، واستقرتا على جذع الشجرة ، وأخذت العينان تتسلقان الشجرة ، بوصة بعد بوصة .

وتسمر رينفورد فى موضعه فوق الغصن ، وتوترت عضلاته ، وتهيأ للانقضاض على خصمه — حين تجىء اللحظة المناسبة .

بيد أن عينى الصياد توقفتا عن تسلق الشجرة ، قبل ان تبلغا الغصن الذى يرقد فوقه رينفورد — الطريدة . وارتسمت على شفتى الجنرال ابتسامة خفيفة ، أخذت تتسع وتنتشر حتى اشتملت وجهه كله . ثم استدار وأولى

الشجرة ظهره ، ثم ابتعد يسير فى استرخاء وفى خطوات متمهلة . وأخذ صوت الاعشاب وهى تتكسر وتنهصر تحت قدميه — يتضاءل ويخف تدريجا ، حتى لم يعد يسمع .

كان أول خاطر طرأ بذهن رينفورد هو أن الجنرال صياد قدير حقا ، فها هو ذا قد استطاع أن يقتفى أثر رينفورد حتى انتهى الى الشجرة ، رغم الاثر المضلل الذى ألقاه رينفورد فى طريقه ليخدعه . واذا كان لم يكتشف طريدته راقدا فوق الغصن ، فلعل هذا مرجعه الى الصدفة البحتة ،ولكن هذا لا ينقص من قدر الجنرال وبراعته .

ونحى رينفورد هذا الخاطر عن ذهنه ، وقفز مكانه خاطر آخر بعث فى أوصاله رعدة جارفة ... خاطر ملأ قلبه رعبا وفزعا .

اذا ابتسم الجنرال وهو واقف تحت الشجرة قبل أن يستدير راجعا .. ؟ نعم .. لماذ ابتسم .. ؟

كانت الحقيقة واضحة جلية ، كتلك الشمس التى تتسرب أشعتها من خلال الاكمة الكثيفة ، ومع ذلك كان رينفورد يحاول ان يخدع نفسه فلا يصدقها .

ولكنه أخيرا آمن بها : كان الجنرال يلعب به ويعبث كما يفعل القط مع الفأر .

لقد اهتدى الجنرال الى مربضه فوق غصن الشجرة ولكنه لم يشأ أن يهاجمه ويطلق عليه النار .. لقد ادخره ليوم آخر من المطاردة ... أدخره لمتعة الصيد فى اليوم التالى ولذلك ابتسم ، وارتد راجعا ، دون أن يحاول مواصلة المطاردة .

انها لعبة القط والفأر ، فرينفورد هو الفأر ، والجنرال هو القط الذى يرى أمامه الفأر ، فيغضى عنه ، ويتركه يبتعد

صيد هاربا ، ثم اذا به فجأة ينقض عليه ، وينشب فيه اظافره الحادة . وهذا ما سوف يفعله به القط الجنرال .

وغشيت قلب رينفورد موجة كاسحة من الخوف .

وقال فى نفسه فى تصميم واصرار .

— كلا .. لن افقد ابدا رباطة جأشى ... يجب أن أظل هادىء الاعصاب ، حتى يصفو ذهنى ، فاهتدى الى مخرج من هذا المأزق .

وهبط من فوق الشجرة ، ومن جديد أخذ يضرب فى الغابة .

كانت قسمات وجهه متصلبة توحى بالاصرار ، وكان عقله متحفزا ، يعمل ويفكر بلا هوادة ، باحثا عن طريق الخلاص .

وعلى مسافة مائة متر من مكمنه توقف رينفورد حين راى شجرة ضخمة ميتة مائلة على جنبها فوق شجرة أخرى صغيرة لاتزال نامية حية .

ووضع رينفورد كيس الطعام على الارض ، وتناول خنجر الصيد من جرابه ، وشرع يعمل بهمة لا تعرف الكلل .

واخيرا أنجز المهمة التى شرع فيها ، وسوف يرى ماسوف يحدث حين يأتى القط .

وحمل كيس الطعام ، ومضى مبتعدا ، واختبأ وراء شجرة كبيرة على مسافة ثلاثين مترا ، وقبع فى مخبئه الجديد يترقب وينتظر ، وكان يعلم أنه لن ينتظر طويلا ، فان القط لن يلبث ان يحضر لكى يلعب بالفأر .

واخيرا جاء الجنرال .

جاء يتبع الاثر ، شأن كلب الصيد الذى لا يخطىء .

ان لهذا الصياد مقدرة فذة لا تجارى ، فعينه لا يمكن ان تخطىء شيئا ، فلا يفوته غصن مهصور ، ولا عشب

وطئته الاقدام ، ولا ورق شجرة ديست فتكرمشت ، ولا لقدم فوق الارض .. ان له لعينا ثاقبة عجيبة هذا القوزاقى .

وها هو ذا قد أتى ... ها هو قد وصل الى الشىء الذى اعده رينفورد قبل أن يكتشفه ويتبين الفخ المنصوب ... لقد لمست قدمه الغصن البارز المثنى الذى كان بمثابة الزناد .

ولكن فى اللحظة التى لمس فيها حذاؤه « الزناد » انتبه الجنرال الى الخطر الذى استهدف له ، وقفز الى الوراء مرتدا بخفة القرد .

بيد ان وثبته لم تكن بالسرعة المنشودة ، فان الشجرة الكبيرة الميتة مالت فجأة لتستقر فوق الشجرة الصغيرة الحية، ولو أن الجنرال لم يثب الى الوراء لوقعت فوقه وسحقته . ولكن هذه القفزة انقذته من سقوط الشجرة فوقه ، اذ لم يمسه منها الا بعض اغصان لطمت كتفه بقوة ، فترنح وكاد ان يقع أرضا ، لولا أنه تماسك وثبت مكانه .

ووقف الجنرال يدلك كتفه المصاب ، وفى ذعر وخوف سمع رينفورد ضحكة الجنرال الهازئة ، ثم تناهى اليه صوته وهو يقول صائحا :

— اذا كنت يا رينفورد فى نطاق صوتى ، فدعنى اهنئك على مافعلت .. انها فى الحق مكيدة بارعة ، وقل من الناس من يجيد نصب هذا الفخ ... لا شك انك ذهبت الى جزيرة ملقا ، وتعلمته منهم ، فأهالى هذه الجزيرة هم الوحيدون فى العالم الذين يجيدونه .. انك بحيلك ومكائدك تضاعف متعتى بالصيد .. اننى راجع الآن لاضمد الجرح الذى أصاب كتفى ، ولكنى راجع بالتأكيد ... نعم ... انى راجع فانتظرنى ... سوف اواصل المطاردة حالا فجرحى بسيط .

واستدار الجنرال زاروف راجعا ، وما لبث وقع اقدامه

أن تضاءل وخفت حتى لم يعد يسمع .

* * *

خرج رينفورد من مكمنه وراء الشجرة ، وتابع فراره ، وكان الآن فرارا حافلا باليأس ... فرارا لا أمل فيه ولا رجاء .

وأخيرا انحدرت الشمس الى المغيب ، وبدأ الظلام يشتمل الارض ، ورينفورد مجد فى هروبه بلا هوادة .

وأخذت الارض تبدو تحت قدميه أكثر ليونة ، وخلت تدريجا من الحصى والحجارة ، ولم يعد يعانى فى سيره المشقة التى الفها .

وعلى حين فجأة ، وهو يخطو الى الامام ، غاصت قدمه فى ارض رخوة لينة .

تلك هى الرمال المتحركة التى تبتلع كل من يحاول أن يمشى فوقها .

وحاول أن ينتزع قدمه ، ولكن الارض كانت تشفط قدمه بقوة واصرار ، كأن يد جبار قوى تمسك بكاهله وتجذبه الى أسفل . وارتمى على ظهره فوق الارض الصلبة ، وبجهد فائق مضن استطاع أن ينتزع قدمه .

وعرف عندئذ مكانه ... انه عند الرمال المتحركة ... عند مستنقع الموت كما يسمونه .

واثارت الارض اللينة الرخوة فكرة جديدة فى رأسه .

ابتعد عن حافة المستنقع مترين أو ثلاثة ، ثم شرع يحفر خندقا ، مستعينا بخنجره . ولم يعان رينفورد مشقة فى انشاء هذه الحفرة ، فقد ألف هذا العمل حين كان ملتحقا بالجيش ، فان الخندق هو ملاذ النجاة للجندى عند هجوم الطائرات .

وحين أنجزه العمل كانت لديه حفرة عميقة فى طول قامة الانسان .

ومضى الى الشجر القريب يقطع منه كيمة من الاغصان السميكة ، واخذ يبريها بخنجره ، حتى صار لها سن مدبب حاد ، ثم زرعها فى قاع الحفرة ، جاعلا استانها متجهة الى أعلى .

وحمل الى الحفرة كمية كبيرة من الاغصان والاعشاب فرشها فوقها ، فسترت فوهتها ، واصبحت خافية على من يصل اليها ، فلا يتبين أن تحت هذه الاعشاب حفرة فيها أسياخ من الاغصان ذات الاسنان المدببة .

وحين انتهى رينفورد من اعداد هذا الفخ الجديد قبع وراء جذع شجرة ، يترقب ما سوف يقع .

كان يعلم أن مطارده موشكا ان يحضر ، فقد سمع وقع خطاه على الارض اللينة ، كما حملت اليه هبات النسيم العطر الذى ينبعث من السجائر التى يدخنها . وكان وقع الاقدام يوحى بأن الجنرال يسير بسرعة أكبر من عادته المألوفة .

وكان رينفورد فى موضعه المنزوى وراء الشجرة لا يرى الجنرال ، ولا يرى الحفرة التى أعدها ، ولكنه كان قابعا فى مكمنه ، يترقب وينتظر ، والدقيقة التى تمر به تتراءى له عاما طويلا ممتدا .

وطفت عليه نزوة جارفة بأن يطلق صيحة فرح ، حين سمع خشخشة الاعشاب والاغصان التى تغطى فوهة الحفرة وهى تتكسر وتتهاوى ، ثم تتلوها صرخة الم حادة دلته على أن اسنان الاسياخ المدببة قد أصابت هدفها .

وقفز رينفورد من موضعه وراء الشجرة ، ثم ارتد راجعا فى ذعر وخوف .

ذلك أنه رأى على قيد متر واحد من الحفرة شبح رجل منتصب ، وفى يده بطارية يسلط ضوءها الى قاع الحفره .

ولم يكن هذا الرجل الا الجنرال زاروف .

اذن من الذى وقع فى الحفرة .. ؟ من الذى انغرزت فى جسده الاسياخ .. ؟

وجاءه صوت الجنرال عاليا يقول :

ــ لقد أحسنت صنعا يا رينفورد ... ان هذه الحفرة التى تصاد بها النمور فى الهند قد اقتنصت كلب صيد من خير كلابى ... انى أسجل بهذا العمل نقطة أخرى لصالحك يا مستر رينفورد ، ولكن ما عساك تصنع حين اطاردك ومعى كلابى كلها .. ؟

واستطرد الجنرال : انى ذاهب الآن الى البيت لاصيب قسطا من الراحة ، ونى لممتن لك على هذه الامسية الممتعة الحافلة بالاثارة ... والى اللقاء .

* * *

عند بزوغ الفجر كان رينفورد راقدا بالقرب من مستنقع الموت ... أرض الرمال المتحركة ، وقد استغرق فى النوم لفرط ما عانى من اضطراب وتوتر فى الاعصاب .

وعلى حين بغتة انتبه رينفورد من نومه على صوت تعلم منه ان الخوف حين يفاجىء المرء قد يسدد اليه صدمة تشل قدرته على التفكير .

كان الصوت آتيا من بعيد ... كان صوتا خافتا ليست له معالم واضحة ، ولكن رينفورد استطاع أن يعرفه .. انها همهمة صادرة من مجموعة من الكلاب ... انها كلاب تقترب وهى تزوم .

لقد صدق حين قال له الجنرال زاروف ليلة الامس انه

استطاع أن يتخلص من كلب واحد ، ولكن ما عساه يفعل ان جاءه الجنرال وفى صحبته قطيع من الكلاب .. !

ولم يكن أمام رينفورد الا أمر من أمرين :

أما أن يلزم مكانه لا يبرحه ، ينتظر ويترقب ما سوف يجرى ، وهذا معناه انه قضى على نفسه بالموت ... معناه انه قرر أن ينتحر على يد هذه الكلاب المتوحشة ، حين تنقض عليه ، فتنهش لحمه ، وتمزقه اربا ، ولا تدعه الا أشلاء متناثرة .

أما الحل الثانى ، فهو أن ينطلق هاربا بأقصى سرعة . وهذا معناه انه سيؤجل المصير المحتوم ، اذ الموت مقضى به فى الحالين ، سواء بقى أو هرب .

ولبث برهة جامدا مكانه ، يسائل نفسه عما ينبغى أن يفعل ، وهدير الكلاب يزداد فى سمعه جلاء .

وفجأة ابنثقت فى ذهنه فكرة أخرى ... فكرة قد تسفر عن نجاته .. ان النجاة ليست بالامر المؤكد ، ولكن الفرصة سانحة ، فلم لا يجرب .. ؟ لم يتقاعس ؟

وانطلق يجرى متباعدا عن مستنقع الموت .

بيد أن هدير الكلاب كان يلاحقه ... كانت الهمهمة تقترب ، وتقترب ... كانت تشتد أكثر ، وأكثر — وهو ماض فى ركضه ، لا يلوى على شىء .

واشرف أخيرا على البحر ، وتسلق شجرة فى جرف ينحدر الى الماء فى خط مستقيم رأسى .

ومن مكمنه فوق الشجرة ألقى ببصره ناحية الغابة . ورأى الشجيرات تهتز وتتمايل ، ثم استطاع أن يرى الجنرال زاروف بقوامه النحيف يسير موفضا خطاه .

واستطاع رينفورد أن يميز شبح رجل يسير أمام الجنرال

... انه رجل مديد القامة ، عريض المنكبين ، ضخم الجسم ،
ولم يداخله شك فى أن هذا العملاق هو الجندى ايفان ..
الحارس الاصم الاخرس . وكان يبدو من مشيته وحركاته
أن ثمة يجره ويسحبه . وكان هذا الشيء هو قطيع كلاب
الصيد ، اذ كان ايفان ممسكا بمقودها .

وكانت النتيجة جلية لا شك فيها : ان هى الا دقائق
معدودات ، وتصل اليه الكلاب ، وتتسلق الشجرة ، ثم تنقض
عليه ، فلا تدعه حتى يصبح جثة هامدة .

وعلى حين بغتة أمسكت الكلاب عن الهدير ، وكفت عن
المدق .

وصعد رينفورد الى احدى الاشجار ، وعينه على طريق
يكون الجندى ايفان ، أو الجنرال زاروف .
ويستقر الخنجر فى أول قادم على طريق المدق ، وهذا اما أن
الحجر من مكانه ، وينفرد الغصن بقوة دافعة شديدة ،
غيره ، فانها ستطأ الحجر الموضوع فوق فرع الكرم ، ويتزحزح
جاءت الكلاب ، وسارت فى طريق المدق الذى لا يوجد طريق
وثبت فرع الكرم فى الارض ، بأن وضع على طرفه حجرا . فاذا
ربط به الغصن المشدود اليه الخنجر ، وثنى الغصن الى الوراء
لابد أن يسلكه القادمون . ثم اتخذ من فرع شجرة كرم حبلا
خنجره ، وجعل سن النصل موجها الى الممر الضيق الذى
هبط من الشجرة ، وامسك بغصن لين ، وربط فيه
زارها فى رحلة للصيد والقنص .
وفكر فى حيلة قد تنقذه ، حيلة تعلمها من أبناء أوغندا حين
الهمهمة .. لابد اذن أنها وصلت الى موضع الخنجر ، وداست
على حبل الكرم المشدود اليه ، فما الذى حدث يا ترى ؟ ..
واشرأب رينفورد بقامته ، وجعل يحدق فى طريق المدق ،

وادرك عندئذ أن الامل الذى تعلق به خاب وانهار ، فقد رأى الجنرال زاروف منتصبا على قدميه ، أما الجندى ايفان ، فلم يكن له وجود .

اذن فقد غاص الخنجر بعد انطلاقه فى صدر ايفان ، وقد كان يتمنى أن ينغرز فى صدر الجنرال .

وأسرع رينفورد يهبط الى الارض ، وما كادت قدماه تستقران عليها حتى عادت الكلاب تزوم من جديد ، وانطلقت فى أعقابه ، بعد أن تناهت رائحته الى خياشيمها .

ظل رينفورد منطلقا فى ركضه حتى بلانهاية الجرف المطل على البحر ، وتسمر مكانه مترددا .

واقتربت منه الكلاب ، وهى ترسل نباحها الوحشى . فقد دنت من الطريدة ، وان هى الا بضعة أمتار ، ثم تنقض عليها فتمزقها .

ودنا رينفورد من حافة البحر ، ووقف محجما .

واقتربت الكلاب .. وثبة بعد وثبة .. وهى تزمجر فى وحشية .

وقبل أن تثب الكلاب على رينفورد ، كان رينفورد قد وثب الى البحر .

وحين وصل الجنرال زاروف وكلابه الى حافة الجرف وقف يتأمل مياه البحر بعين فاحصة ، هز كتفيه فى ابتهاج ، واستوى جالسا على صخرة ناتئة ، وأشعل احدى سجائره المعطرة ، ومضى يدخنها فى استمتاع واضح .

واذ فرغ من تدخينها ، قذف بالعقب الى البحر ، وهو يردد فى صوت مرح :

ـــ أنت أيضا الى الاعماق !..

ثم نهض واقفا ، وارتد راجعا الى بيته ، وهو يصفر لحنا

موسيقيا مرحا .



في ذلك المساء تناول الجنرال زاروف عشاء دسما شهيا ، وشرب عدة أقداح من الشمبانيا ، وكان يبدو سعيدا هانئا ، وان كان هناك أمران يعكران عليه صفوه .

أولهما أنه كان يعرف أنه سيجد مشقة فى العثور على بديل يحل ايفان .

وثانيهما أن طريدته رينفورد أفلت منه .. انه حقيقة غاص فى أعماق البحر ، وطوته اللجة ، ولكنه لم يكن يريد له أن يموت غريقا ، وانما كان يتمنى أن يقضى عليه برصاص مسدسه ، حتى يستمتع بلذة الصيد والقنص .. ولكن ما العمل ؟ لقد آثر رينفورد أن يقضى منتحرا على أن يقع فى أيدى الكلاب .

ومضى الجنرال الى قاعة المكتبة ، وتناول كتاب شعر ، وانكب عليه يطالعه ، حتى يذهب عن نفسه ما كان يراوده من ضيق .

واذ أرسلت ساعة الحائط عشر دقات صعد الجنرال مخدعه .

خلع ثيابه ، وآوى الى فراشه ، ثم أطفأ النور . وعندئذ سمع حفيفا عند النافذة ، وعلى ضوء القمر الذى تتسلل أشعته الواهنة الى المخدع رأى رجلا يبرز من وراء الستار المسدل على النافذة .

وقال الجنرال وهو ما زال راقدا فى فراشه :

— من أنت ؟ .. من هناك ؟ ..

وحين سقط شعاع القمر على وجه الرجل عرفه على الفور .

وهتف الجنرال :

— رينفورد ؟ .. اذن فقد نجوت من الغرق ؟ .. ولكن بحق السماء كيف جئت هنا ؟ ..

— جئت سابحا .. ان السباحة أسرع بكثير من القدوم عن طريق الغابة .

وابتسم الجنرال وقال :

— دعنى أهنئك يا رينفورد .. لقد كسبت الجولة ، وفزت فى لعبة المطاردة .

وتكلم رينفورد ، ولكن دون أن يبتسم .

قال فى خشونة وجفاء :

— ومن قال لك أن لعبة المطاردة قد انتهت ؟ .. منتصف الليل هو موعد انتهاء المباراة ، وأنا حتى اللحظة ما زلت ذلك الحيوان المطارد ، وأنت ما زلت الصياد .. فهيا استعد يا جنرال ، وكن على حذر .

وقال الجنرال :

— فليكن .. اذن المطاردة قائمة . ومن يكسب سينام الليلة فى هذا الفراش الوثير .

وهما الجنرال بأن يهب جالسا ليتناول مسدسه الموضوع على منضدة بجانب السرير ، ولكن رينفورد كان أسرع منه .

وفى تلك الليلة نام رينفورد فى الفراش الوثير .

تمت

بعـــد الجريمة

– ١ –

دقت مسز تروتر الجرس خمس مرات قبـل ان تفتح ابنتها (شارون) الباب ..

وكانت شارون ترتدى قميصا رقيقا تزينه نجوم شفافة وقد تدلى شعرها الأشقر الجميل على جبينها وكتفيها بغير نظام فبدت كاحدى نجوم السينما .

ولأول مرة فى حياتها تمنت مسز تروتر لو ان ابنتها لم تكن بذلك الجمال .

وهتفت شارون فى دهشة :

ــ يا الهى يا أماه ! .. هل تعرفين كم الساعة الآن ؟

ــ الساعة الآن الثامنة . أو الثـــامنة والنصـــف . ان ساعتى قد توقفت .

ــ الا تعلمين أننى لم أذهب بعد الى فراشى ؟ لماذا بكرت بالحضور يا أماه ؟

فسألتها مسز تروتر بعد تردد قصير :

ــ هل أنت هنا وحدك ؟

ــ طبعا . ولكنى لم أنم بعد ، وأكاد أسقط أعياء وتعبا .

ولابد أنها خجلت من نفسها للخشونة التى استقبلت بها أمها ، لأنها لم تلبث أن قالت وهى تفسح لأمها الطريق :

ــ ادخلى .

ــ شكرا لك .

وكان صوت الأم ينم عن الكبرياء ، فمرت بابنتها ووقفت بباب قاعـــة الاســـتقبال كأنها تنتظر حتى تأذن لهـــا ابنتها بالدخول . فقالت شارون فى ضجر :

ــ ادخلى .

وأجالت مسز تروتر البصر حولها ..

كان كل شيء فى الغرفة ينم عن الثراء وسعة العيش .

قالت الفتاة :

ــ اجلسى يا أماه ، وسأعد لك قدحا من القهوة . هل تناولت طعام الافطار ؟

ــ نعم ، تناولت افطارى منذ ساعة .

ولمحت الأم بقايا سيجار فخم على صحفة فوق المائدة ، فأشاحت بوجهها بسرعة وفتحت حقيبتها .. وراحت تبحث فيها وهى تقول :

ــ لقد جاءتك رسالة من الدكتور سولتر تتضمن قائمة حساب .. لا شك أنك لم تذكرى له عنوانك الجديد .

ولم تتمالك الفتاة من الشعور بالشفقة حين رأت أمها تضع الرسالة على المائدة فى استحياء . فاقتربت منها وقالت :

ــ تبدو عليك دلائل التعب والاعياء يا أماه .. هل تتناولين الدواء بانتظام ؟

ــ اننى فى خير حال ، كل ما هنالك اننى جئت بالحافلة (الامنيبوس) وكانت مزدحمة .

ــ لماذا لم تركبى احدى سيارات الأجرة ؟

فلم تجب الأم ، وهزت شارون كتفها ومضت الى مطبخها الصغير الأنيق حيث غابت بضع دقائق وعادت بعد ذلك بصحفة عليها قدحان فيهما القهوة ثم قالت :

ــ دعينا نتحدث بصراحة يا أماه .. ماذا وراءك ؟

ــ لا شيء يا ابنتى .. لا شيء البتة ، كان لابد لى من الخروج اليوم لشراء حذاء . ورأيت أن الفرصة سانحة لزيارتك .

لقد مضى شهر منذ رأيتك آخر مرة .. الا تذكرين ؟
فقطبت شارون حاجبيها وأجابت :
ـــ الحق أننى شغلت عنك .
ثم رفعت بأناملها خصلة شعر تدلت على جبينها واردفت قائلة :
ـــ هل تسلمت (الشيك) الذى بعثت به اليك ؟
ـــ نعم تسلمته . وقد جئت اليوم لأحدثك بشأنه .
وفتحت حقيبتها مرة أخرى ، وأخرجت منها ورقة صفراء مطوية وقالت :
ـــ اننى لن أقبل منك شيكات أخرى يا شارون .. اليك الشيك الذى بعثت به الى .
فحملقت الفتاة فى وجه أمها وقالت ببرود :
لماذا ؟
ـــ لأننى لست بحاجة اليه ، بحسبى الايراد الذى تركه أبوك .. انه قليل ولكن فيه الكفاية . ولا حاجة لى بالكماليات .
ووضعت الشيك على المائدة بجانب فاتورة طبيب الأسنان .
ـــ فقالت شارون :
ـــ هل ذلك بسبب هنرى ؟
ـــ من قال لك شيئا عن هنرى ؟ ان هنرى من شئونك الخاصة ، ولا شأن لى به .
ـــ اصغى الى يا أماه .. لا ضرورة للف والدوران . اننى اقرا ما يدور بخلدك كما أقرا فى كتاب مفتوح . انك لا تريدين هذه النقود لأن هنرى أعطانيها .. أليس كذلك ؟
فقالت الأم بايجاز :

ـ اننى لا اريدها وكفى .

فغطت شارون ركبتها العــارية بغلالتها وأخرجت من
يبها علبة سجائر تناولت منها سيجارة أشــعلتها بأصابع
تجفة ثم قالت :

ـ انك لا تفهمين موقفى من هنرى يا اماه .. بل انك
تريدين أن تفهمى .. والموضــوع كله يبـدو فى نظرك
لا رجلا شريرا ، وما أنا فى نظرك الا ...

ولاحظت الفتاة من وجه أمها واهتزاز عضلاته أنها توشك
لى البكاء ، فمدت يدها لترفه عنها . ولكن الأم دفعت يدها
عيدا عنها وهمت بالنهوض ، فصاحت الفتاة :

ـ صبرا يا أماه .. أرجوك .. انك لم تهيىء لى قط
رصة للتحدث اليك فى هذا الموضوع . وكلما هممت بالكلام
شحت عنى بوجهك . ومنعتنى بحركة من يدك .. اننى
ريدك أن تسمعى وجهة نظرى .. أتوسل اليك .

ـ لقد آن لى أن أنصرف .

ـ ان الحوانيت لم تفتح أبوابها بعــد .. أنصتى الى
قيقة واحدة ..

فعادت الأم الى الجلوس . وقالت وهى تتجنب النظر فى
جه ابنتها :

ـ حسنا .. هأنذا مصغية .

وارتبكت الفتاة لحظة ، ولم تعرف كيف تبدأ الحديث .
واخيرا قالت :

ـ اننى أحب هنرى يا أماه . وهو يحبنى ، وهذا هو
لمهم . وقد كدنا أن نتزوج منذ ستة شهور ، لولا تلك المرأة ..
وجته .

وقد نطقت بالكلمة الأخيرة بصوت يقطر حقدا وغيظا ثم

مضت تقول :

ـــ اننى أعلم أن هذه العلاقة تتعارض مع جميع المبادىء والقيم التى تعلمتها ونشأت عليها منذ نعومة أظفارك . ولكن موقفك يختلف عن موقفى يا أماه .. لقد كان أبى لك وحدك منذ البداية .. فلم يكن عليك أن تقابليه خلسة من وراء ظهر امرأة أخرى .

فقالت الأم بحدة :

ـــ كلا .. اننى لم أفعل ذلك قط .. لقد قابلت أباك وأحببته وتزوجته وانتهى الأمر . وقبل الزواج كنت أدفع شقتى .. هل تفهميننى ؟ كنت أعمل وأكدح وأشترى طعامى وثيابى ولم أكلف أباك بنسا واحدا قبل الزواج .

فهتفت الفتاة فى يأس وهى تطفىء سيجارتها قبل أن تدخن نصفها :

ـــ لا فائدة من الحديث معك .

ثم وقع بصرها على بقية السيجار الفاخر ، فتناولتها بسرعة والقت فى سلة نحاسية بأحد أركان الغرفة وقالت :

ـــ ان لك أفكارا رجعية لا سبيل الى اقناعك بالعدول عنها .. أصغى الى يا أماه .. لو أن هنرى التقطنى من أحد المشارب لاختلف الأمر . ولكنه يحبنى . وسيقترن بى حالما يحصل على الطلاق .

ـــ ولماذا لا يحصل على الطلاق ؟

ـــ لقد ذكرت لك السبب يا أماه .. ان المصنع مسجل باسم زوجته .. وقد سجله باسمها لأسباب خاصة بعمله وهو يعلم أن هذه المرأة القذرة سوف تجرده من كل شىء قبل أن توافق على الطلاق .

فهزت الأم راسها فى حزن ورددت فى استنكار :
ـ المرأة القذرة ..
كانت لها كبرياء ليست لابنتها الفاتنة .
قالت الأم :
ـ هل اتفق لك أن قابلت هذه المرأة ؟
ـ كلا .. واصارحك اننى لا أرغب فى مقابلتها . لقد نال هنرى عنها الشىء الكثير .
ـ أنا واثقة من انه فعل ذلك .
ـ فقالت الفتاة وهى تربت على يد أمها :
ـ اصغى الى يا أماه .. سوف أدهشك يوما ما حين ادعوك لشهود حفل زفافنا .
وهنا تحركت مسز تروتر فى مقعدها وهمت بالانصراف .. فهتفت شارون :
ـ كلا يا أماه .. لا تذهبى .. ما قولك اذا رافقتك الى محل بيع الأحذية ؟ سأرتدى ثيابى فورا وأذهب معك .
ـ لماذا ؟ اننى استطيع ابتياع حذائى بنفسى .
ـ انت تعلمين انهم يخدعونك دائما يا اماه .. سأذهب معك .. اتفقنا ؟
فهزت الأم كتفيها وقالت :
ـ لا بأس .. مادمت تريدين ذلك .
ـ سأغتسل وارتدى ثيابى فى لحظة .
وانطلقت الى الحمام واغلقت بابه على نفسها .



قبعت الام فى مكانها بضع دقائق . ثم مدت يدها الى

ومليئة بصور فوتوغرافية لفتيات رشيقات فى أوضاع مثيرة .
فنحت مسز تروتر المجلة جانبا باشمئزاز ، ثم اقتربت من غرفة النوم ، وفتحت بابها قليلا . وسمعت صوت انسياب الماء فى الحمام الملحق بالغرفة .. فأغلقت الباب بسرعة . وعادت الى مقعدها فى قاعة الاستقبال .

وما هى الا لحظة حتى دق جرس التليفون .

ونظرت مسز تروتر الى التليفون وهمت بتناول السماعة وامسكت .

واستمر رنين جرس التليفون . سارت الى غرفة النوم وفتحت الباب ونادت :

— شارون ..

وكان انهمار الماء من (الدوش) فى الحمام يحدث جلبة شديدة فلم تسمع شارون صوت أمها ولم تجب .

— ٢ —

واستمر الجرس يرن بانتظام بطريقة مزعجة . فاقتربت منه مس تروتر ورفعت السماعة .

وحينئذ سمعت صوتا يهتف :

— أهذه أنت يا شارون ؟

— من المتحدث ؟

— هنرى طبعا .

وكان الصوت عميقا متلهفا .. واستطرد هنرى قائلا بسرعة :

— اصغى الى ولاتتكلمى . ان الوقت ضيق وليس لدى سوى دقيقة واحدة .. سأقول لك شيئا وبسرعة .. انها ماتت .. ماتت أمس .. ولكن الاهم من ذلك يا شارون هو ما سأقوله لك ..

لقد علم البوليس بأمرنا .. وسيذهبون لاستجوابك فى اية لحظة .. لقد قلت لهم انني قضيت الليلة معك .. هل فهمت ؟

فتمتمت مسز تروتر بكلام غير مفهوم ، واستطرد هنرى قائلا :

ــ كونى هادئة ولا تضطربى .. ولا تقولى شيئا اكثر من أننى قضيت الليلة معك .. هل فهمت ؟ هذه ليست الحقيقة ولكن يجب أن تقفى الى جانبى والا كان مصيري الاعدام ..

هل سمعتنى يا شارون ؟ متى جاء رجال البوليس فقولى لهم اننى قضيت الليلة معك .

فاحست مسز تروتر بغصة فى حلقها .. ولم تقل شيئا . حتى لو ارادت الكلام لما استطاعت .

وابعدت السماعة عن اذنها .. ونظرت اليها فى ذهول وذعر .. كما لو كانت حشرة سامة .

قال المتحدث فى لهفة :

ــ حسنا اذن .. تذكرى ما قلته لك .. وسوف أراك حالما استطيع ذلك .. الى اللقاء أيتها الحبيبة .

فهمست مسز تروتر بصوت خافت كأنه صادر من بعيد :

ــ نعم .. نعم ..

حالما استطيع ذلك .. الى اللقاء أيتها الحبيبة .

ووضعت مسز تروتر السماعة ، وشعرت بحاجتها الى الاقراص التى وصفها لها الطبيب لتهدئة اعصابها . فأسرعت الى حقيبتها . وافرغت محتوياتها . وتناولت قنينة صغيرة

ثم قصدت الى غرفة النوم وفتحت بابها على مصراعيه ، وفى هذه اللحظة خرجت شارون من الحمام .

سألت :

— هل تريدين شيئا يا أماه ؟

فأجابت مسز تروتر بصوت هادىء على غير العادة :

— كلا .. ولكن اسرعى بارتداء ثيابك .

— حسنا .. لماذا لا تستريحين يا أماه ريثما أفرغ من زينتى ؟ .. ادخلى .

فدخلت مسز تروتر مخدع ابنتها ، وجلست على حافة راش وثير .. واجالت البصر حولها ..

كان اثاث الغرفة آخر كلمة فى الاناقة والرفاهية . الستائر والاغطية والطنافس فى لون السماء أو الورد .

وجلست شارون الى مائدة الزينة وراحت تعقص شعرها وتطلى وجهها ببراعة امرأة ذات خبرة فى فن التجميل .

وقالت الام فجأة :

— شارون ..

ورأت الفتاة فى مرآتها وجه أمها الشاحب واستدارت اليها وهتفت فى ذعر :

— ماذا بك يا أماه .. هل أنت بخير ؟

— عندما كنت فى الحمام ، دق جرس التليفون ، وحاولت ان ادعوك . ولكنك لم تسمعينى .. وخطر لى أن أتلقى المكالمة .. فتناولت السماعة . ولم يترك لى التحدث فرصة للكلام .. وراح يتحدث بسرعة .

— من هو ؟ هنرى ؟

— نعم .. انه هنرى .. وقد قال ان زوجته ماتت أمس ..

فانبعثت الفتاة واقفة وصاحت :

ـــ ماذا تقولين ؟

وسقطت علبة المساحيق من يدها ، وانتثرت محتوياتها في أرض الغرفة .

واستطردت الام قائلة :

ـــ قال ان زوجته ماتت أمس ، وأن البوليس يعلم بأمركما .. وهو يريدك أن تقولى لرجال البوليس انه ...

وخنقتها العبرات . فلم تتم عبارتها ، وانخرطت فى البكاء .

وهتفت شارون قائلة :

ـــ تكلمى يا أماه .. ارجوك .

ـــ وا أسفاه عليك يا ابنتى المسكينة .. ولكن ليس ذنبك .. انه ذنبه هو وحده .. انه سيجرك إلى أعماق الهاوية .. أنا واثقة من ذلك .

ولكن ماذا قال يا أماه ؟

ـــ انه قتل زوجته يا شارون .. ألا تفهمين ؟ انه زوجته وسوف يورطك معه .

ـــ أرجوك أن تتمالكى نفسك يا أماه .. ماذا قال هنرى ؟ وماذا يريدنى أن أقول لرجال البوليس ؟

ـــ انه يريدك أن تقولى لرجال البوليس انه لم لم يبت هنا ليلة أمس . هل فهمت ؟ لم يبت هنا ليلة أمس .

ـــ سأقول لهم ذلك يا أماه ...

ـــ وفى هذه اللحظة ، سمعنا طرقات عنيفة على باب الشقة ..

((تمت))



اجاثا كرستي
بيع من مؤلفاتها
باللغة الانجليزية وحدها
٣٥٠ مليون نسخة

روايات الجيب

الثمن ٢٨ قرشا

تطلب من مكتبة رجب
١٦ شارع السوق
بجنب مطافي القاهرة